سلسلة:الراغبين في اقتفاء آثار السالفين (6)

الإستثمار الرّابح

في جريان العمل الصالح

لِلفَقِيرِ الضَّعِيفِ الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ اللَّطِيفْ

أبو معاذ بشير بن عدّة الجزائري

إمام مدرس/ بمسجد السلام

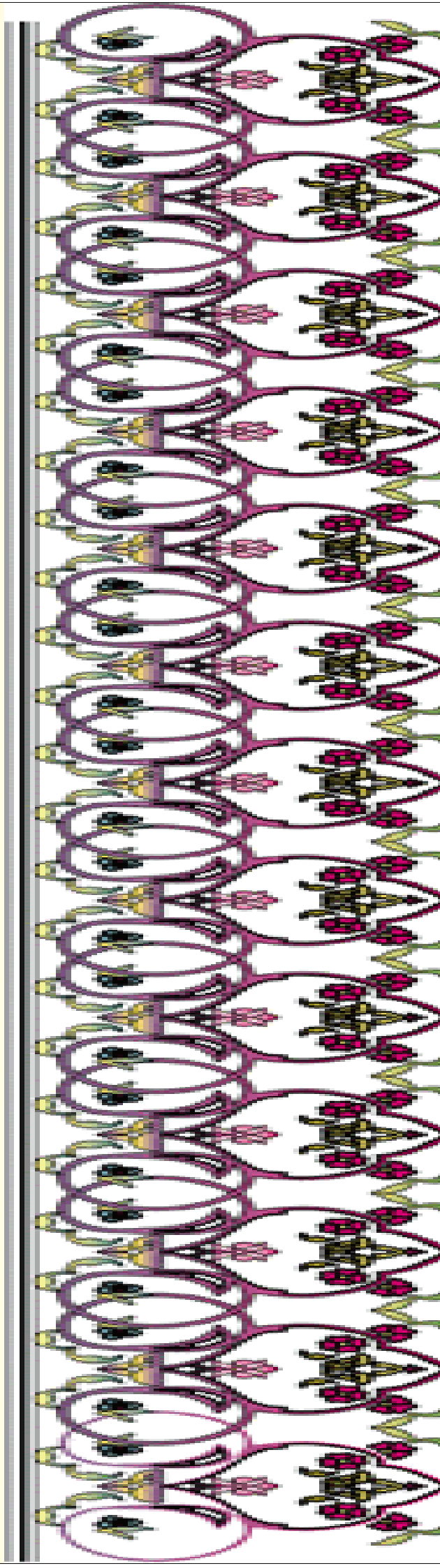

الإستثمار الرابح

في جريان العمل الصالح

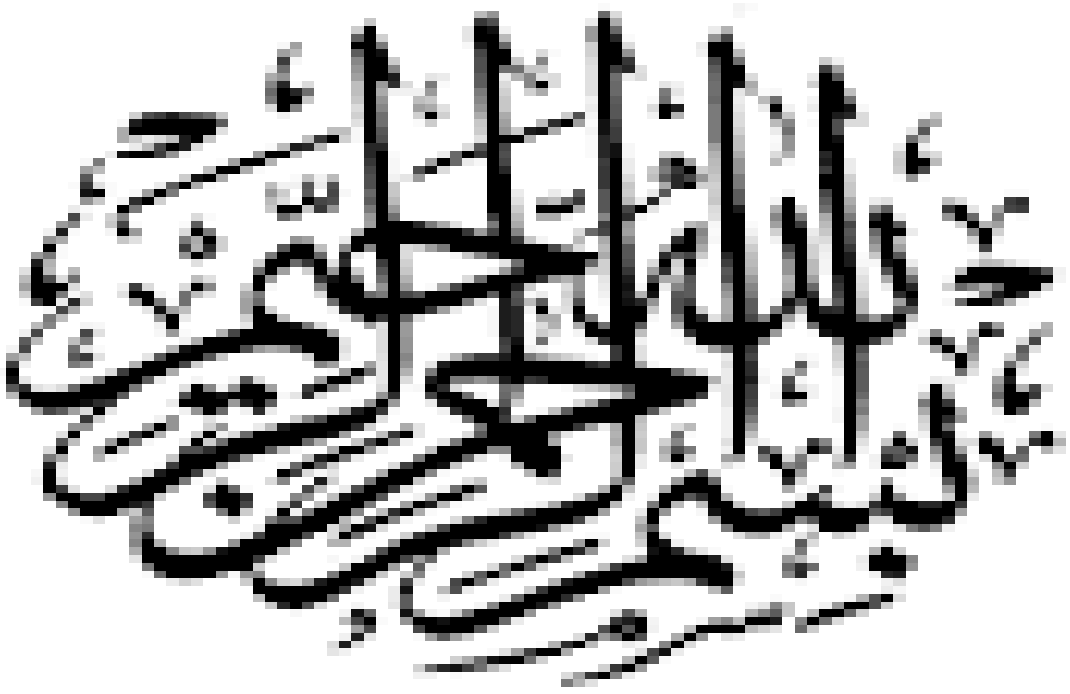

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن كسب الأموال والثروات، والبحث عن طرق استثمارها، من أجل تحقيق لأرباح كثيرة، وضمان لعيش رغيد ومستقبل سعيد ،يسعى له الكثيرون، ويطمح لتحقيقه المُؤَمّلون، وذلك لتأمين مستقبلهم كذا يقولون، ((((فالشاب الذي يملك مبلغاً من المال، يسعى بالتأكيد إلى مضاعفته، وكبير السن الذي أحيل على التقاعد وحصل على مكافأة نهاية خدمته ، يريد أن يستثمر ذلك المال حتى يأتي له بأرباح، بدلاً من أن يستمرّ في استهلاكه حتى ينتهي.)) لكن.. !! الإستثمار الرابح والغنم الواضح، الباقي نفعه واستمراره في دنيا العبد وآخرته، يغفل عن تحقيقه والسعي في تحصيله كثير من الناس،فالدنيا تفنى، وتفنى ملذاتها، والآخرة باقية ويبقى نعيمها وملذاتها، «فلو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، فالعاقل يؤثر الخزف الذي يبقى على الذهب الذي يفنى. كيف!! والدنيا خزف يفنى، والآخرة ذهب يبقى».وقد جاءت هذه الرسالة ضمن سلسلة ((الرَّاغبين في اقتفاء آثار السَّالفين _الحلقة السادسة_)) وهي على قلّة جُهد صاحبها ،جاءت لتضع أمامك استثماراً رابحاً يبقى نفعه، ويطول بإذن الله أمدُه، ويستمرَّ عطاؤه، حتى وأنت تحت أطباق الثَّرى قد تآكلك الدُّود بين جنبات اللحود.

أعقل العقلاء

أعقل العقلاء، من تأمل في أمسه قبل رمسه، و تفكر في حياته قبل موته،وفي صحته وقوته، ليوم عجزه وضعفه ، وبعد مماته، حين انقطاع عمله، فيستغل شبابه لهرمه، وصحته لسقمه، فما أعظم الحسرة، حين يغفل العبد ، و قد كان باستطاعته أن يقدم لنفسه، ليوم مرضه وكبره، بل كان باستطاعته أن يترك بعد رحيله أثرا، فالعمل الصالح يجري على صاحبه في حالتين :

أما في حال كبره: فقد جاء عن ابن عباس ﷺ:« في قوله عز وجل ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾ التين: ٦ قال ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ إلى أرذل العمر ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾ قال: رجل كان يعمل في شبيبته خيرا فكبر وعجز عن ذلك فهو يجرى عليه من الأجر ما كان يجرى عليه في شبيبته وصحته لا يمن عليه بذلك » .[الجامع لأخلاق الراوي]

أما في حال مرضه: فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل، مقيما صحيحا». رواه البخاري (2774)

وقال ﷺ« إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض ، قيل للملك الموكل به : اكتب له مثل عمله. وفي رواية_اكتبوا لعبدي في كل يوم و ليلة من الخير، على ما كان يعمل_ وفي رواية_اكتبوا له أفضل ما كان يعمل _ إذا كان طليقا حتى أطلقه ، أو أكفته إلي ".[1]

إذا كان هذا تفكيره في حال حياته فما أحراه أن يفكر مرة أخرى في رحيله من هذه الدنيا وإنقطاع عمله منها، فيسعى جاهدا، إلى ترك عمل صالح ، عمل لايقطعه الأجل ، يجري ثوابه عليه وهو في قبره، فيخلف وراءه من بعده آثارا صالحة، وصدقات جارية.

هذه الأعمال هي <<استثمارات رابحة، يطول أمدها، ويستمر عطاؤها، فيحيا المتسابق وهو ميت، ويبقى بها، ولربما لم يبق من جسده شيء، وتوزع أرباحها في يوم يجازى فيه الناس بمثاقيل الذر،﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴿٤٧﴾﴾الأنبياء سباق نحو الجنان ص:168

ولهذا كان السلف الأخيار، يتألمون خوفا وحسرة من انقطاع أعمالهم بعد مماتهم.

تأمل قبل أن تتألم

عن أبي إسحاق الحميسي قال: دخلت على يزيد الرقاشي وقت الظهيرة, في بيته وهو يتمرغ على الرمل مثل الجَرِذَةِ، وهو يقول : ويحك يا يزيد ، من يصوم عنك؟!من يصلي عنك؟!

1_أخرجه أحمد (2 / 203) قال الألباني و إسناده حسن .

من يترضى لك ربّك من بعدك؟ ثم التفت إلي، فقال :يا معشر الناس، ألا تبكون ، وتنوحون عَلَى أنفسكم باقي حياتكم؟ مَنْ الموتُ موعدهُ ، والقبرُ بيتهُ ، والثرى فراشُه ، والدُودُ أنيسه ، وهو مع ذا ينتظر الفزع الأكبرَ ،ثم لا يعرف منقلبه[إلى الجنة،أو] إلى النار ثم يبكي حتى تسقط أشفار عينيه.)).[1] وعند ابن أبي الدنيا ((..من يصلي لك يا يزيد ؟ومن يصوم؟ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟..))((ومن يضرع لك إلى ربك بعدك))

رحمك الله يا يزيد ! !صدقت الله فصدقك، وإننا لنضرع إلى ربنا أن يرحمك، ويرضى عنك فها هي دواوين السنة، التي ملأتها بمواعظك وآثارك الحسنة، قد بقي أثرها، وتأثيرها، أنت يزيد ! ! الذي قال عنك صاحب الحلية، الصالح الباكي، والصائم الظامي، هكذا أشفق يزيد على نفسه، خوفا من انقطاع عمله، ولكن عمل يزيد الصالح، لم ينقطع بعد، ولن ينقطع، فرحمة الله عليه.

- وفي مثل هذا الصنف من العباد

يقول أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله:فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص وألسنتهم تمدحه ولا

1_المجالسة وجواهر العلم للدينوري تحقيق مشهور بن حسن) (رقم:2804_وفي رقم:730 ((...يسقط مغشيا عليه))، الر قة والبكاء لابن أبي الدنيا رقم(245)، وكتاب المحتضرين(رقم184)

الجَرَدُ: داء يبأخذ في قوائم الدابة

يعرفون لِمَ؟؟ .ولا يقدرون على وصفه، لبعدهم عن حقيقة معرفته.وقد تمتد هذه الأرابيح بعد الموت على قدرها، فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى .ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره.ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً)).[1]

عن المنكدر بن محمد بن المنكدر،قال: كنا مع صفوان بن سليم في جنازة، وفيها أبي وأبو حازم، وذكر نفراً من العُبَّاد، فلما صلى عليها قال صفوان: أما هذا فقد انقطعت عنه أعماله، واحتاج إلى دعاء من خلّف بعده، قال: فأبكى والله، القوم جميعا)).[2]

فمن كان باستطاعته أن يخلف من بعده أثراً، وذكراً حسناً ولم يفعل، قعد دون الرجال حسيرًا مغموراً، وقعد عن نيل المعالي ملومًا محسوراً، حتى إذا ما أدركته المنية مضى، وكأن لم يكن شيئًا مذكوراً .

ولهذا، فإن من عظيم منّة الله على عباده، أن هيأ لهم أبواباً من البر والخير والإحسان عديدة ،

1- صيد الخاطر (ص 56)

2- تاريخ دمشق (24/ 133)

يقوم بها العبد الموفق في هذه الحياة ، ويجري ثوابها عليه بعد الممات، يذكره بما قدمه من فعل حميد أهل الوجود، وهو بين أطباق الثّرى وجنبات اللّحود .

كم من طويل العمر بعد وفاته***بالذكر يُصحب حاضرًا أو بادِي

ما مات من جعل الزمانَ لسانُه***يتلو مناقب عُوَّدًا وبوادِ

عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: رأيت لعثمان بن مظعون في النوم عيناً تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: << ذلك عملُه يجري له >>(1)

وعمل عثمان بن مظعون ﷺ يحتمل واحدة من ثلاث، وقد تجتمع هذه الخصال الثلاث: <<فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَد صَالِح شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا وَهُوَ السَّائِب ، مَاتَ فِي خِلَافَة أَبِي بَكْر، فَهُوَ أَحَد الثَّلَاث ، وَقَدْ كَانَ عُثْمَان مِنْ الْأَغْنِيَاء، فَلَا يَبْعُد أَنْ تَكُون لَهُ صَدَقَة اِسْتَمَرَّتْ بَعْدَ مَوْته ، فَقَدْ أَخْرَجَ اِبْن سَعْد مِنْ مُرْسَل أَبِي بُرْدَة بْن أَبِي مُوسَى قَالَ " دَخَلَتْ اِمْرَأَة عُثْمَان بْن مَظْعُون عَلَى نِسَاء النَّبِيّ ﷺ فَرَأَيْنَ هَيْئَتَهَا فَقُلْنَ : مَا لَك ؟ فَمَا فِي قُرَيْش أَغْنَى مِنْ بَعْلك ، فَقَالَتْ : أَمَّا لَيْلَهُ فَقَائِمٌ " الْحَدِيث وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد بِعَمَلِ عُثْمَان بْن مَظْعُون، مُرَابَطَته فِي جِهَاد أَعْدَاء اللَّه، فَإِنَّهُ مِمَّنْ يَجْرِي لَهُ عَمَله كَمَا ثَبَتَ فِي السُّنَن وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيّ وَاِبْن حِبَّان وَالْحَاكِم، مِنْ حَدِيث فُضَالَة بْن عُبَيْد رَفَعَهُ "كُلّ مَيِّت يُخْتَم عَلَى عَمَله، إِلَّا الْمُرَابِط فِي سَبِيل اللَّه، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَله

1_ رواه البخاري (6500)

إِلَى يَوْم الْقِيَامَة وَيَأْمَن مِنْ فِتْنَة الْقَبْر "وَلَهُ شَاهِد عِنْدَ مُسْلِم وَالنَّسَائِيّ وَالْبَزَّار، مِنْ حَدِيث سَلْمَان رَفَعَهُ " رِبَاط يَوْم وَلَيْلَة فِي سَبِيل اللَّه، خَيْر مِنْ صِيَام شَهْر وَقِيَامه ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَله الَّذِي كَانَ يَعْمَل وَأَمِنَ الْفَتَّان " . وَلَهُ شَوَاهِد أُخْرَى ، فَلْيُحْمَلْ حَال عُثْمَان بْن مَظْعُون عَلَى ذَلِكَ وَيَزُول الْإِشْكَال مِنْ أَصْله>> .أفاده ابن حجر[1]

كتب الموت على النفوس فما ترى***حي يدوم مخلدا ويعمر

لكن من اتخذ الصلاح شعاره*** تفنى الخليقة وهو حي يذكر

عمر الإنسان يقاس بالآثار لا بطول الأعمار

قال الشيخ أرزقي الشرفاوي رحمه الله:" عمر الإنسان بما قدم لا بما عاش " .

فهذا الذي تطوى بموته صحيفة أعماله، قد يعيش عمراً أكثر من غيره،ولكن العمر الحقيقي للعبد، لا يقاس بسنوات حياته، لكنه يقاس بقدر ما أودعه فيها، من صالحات تبقى له بعد وفاته، ولهذا فإن الذِّكر الحسن في الدنيا ليس بكثرة المُكْث فيها، وإنَّما بقدْر الأثر عليها، لقد عاش في هذه الدار رجالاتٌ ماتوا وهم في زَهرة شبابِهم، لكنْ بقي ذِكْرُهم أزمانًا ودهورًا إلى يومنا .

1. فتح الباري (20/ 8)

فالعمر لا يقاس بالأعوام***والعقل لا يقاس بالأجسام

فالحي أخلق أن تقاس حياته بعظائم الأعمال،لا بليال،<<والأفراد يقاسون بالمنجزات لا بالأعمار ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم من خير وشر، ﴿ وَآثَارَهُمْ ﴾:آثار الخير وآثار الشَّرِّ التي كانوا هم السَّبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم... لابد لأي إنسان أن يكون له أثر يتركه من بعده، وعمر الإنسان لا يقاس بالسنين التي يعيشها،فكثير من الناس عمَّر الكثير،وخرج من الدنيا ولا أثر، والبعض عاش قليلا وترك الكثير الذي ما زال الناس يذكرونه به...>>.[مشروعك الذي يلائمك ص:8]

عمُر الرجال يُقاس بالمجد الذي***شادوه لا بتقادم الميلاد

فالموفق هو الذي إذا توقّفتْ أنفاسه، لم تتوقف أعماله وحسناته.....

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: <<ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين قطرة من دموع في خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله وأما الأثران: فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله>>. رواه الترمذي وحسنه الألباني

(الأثر) – بفتحتين –: ما بقي من الشيء دالا عليه.

قال ابن العربي رحمه الله: الأثر: ما يبقى بعده من عمل يجري عليه أجره من بعده، ومنه قوله: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ وقال غيره : الأثر ما يبقى من رسوم الشئ، وحقيقته ما يدل على

وجود الشئ، والمراد خطوة الماشي، وخطوة الساعي في فريضة من فرائض الله، أو ما بقي على المجاهد من أثر الجراحات، وعلى الساعي المتعب نفسه في أداء الفرائض والقيام بها والكد فيها، كاحتراق الجبهة من حر الرمضاء التي يسجد عليها، وانفطار الأقدام من برد ماء الوضوء ونحو ذلك.>>.(1)

إنقطع عنهم العمل ، فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر

قد يموت الرجل الفاضل، ممن له قدم صدق في الزهد والعبادة، وتحقيق التوحيد واتباع سنة النبي الكريم ﷺ ، وقد ختم على عمله، غير أن ألسنة السّوء تتناوله بغير حق، وما ضرّه ذلك، فيكون سبباً لامتداد أجره وجريان الثواب عليه.فعن جابر رضي الله عنه قال: قيل لعائشة رضي الله عنها : إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر ! فقالت :(وما تعجبون من هذا ! انقطع عنهم العمل ، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر) .(2)

1_ فيض القدير للمناوي 465/5

2_ابن الأثير في جامع الأصول 408/9_409 ومسند عائشة للسيوطي رقم 378 وذكره شارح الطحاوية ص:469 وعزاه إلى مسلم وتعقبه الألباني بقوله:((هذا حديث غريب عندي وعزوه لمسلم أغرب فإني لم أقف =

عن ابن عبد الحكم،قال :سمعت الشافعي يقول:" ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب محمد رسول الله ﷺ إلاّ ليزيدهم الله عز وجل بذلك ثوابا عند انقطاع عملهم." ورواه الربيع عنه بمعناه، وقال: إلا ليجري الله، عز وجل، لهم الحسنات وهم أموات." [1]

قيل لأبي بكر بن عياش:" إن ها هنا في المسجد أقواماً يجلسون فيجلس الناس إليهم؛ قال: من جلس للناس جلس الناس إليه؛ ولكن أهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم،وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم »

وعلى هذا ((فإن الله عز جل قد جعل الذكر والرفعة في الدنيا والآخرة لأتباع نبيه ﷺ ولأنصاره،ومما يدل على ذلك أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ ﴾ الشرح: ٤ فعلى قدر ما يكون الإنسان أشدَّ اتباعاً للنبي ﷺ على قدر ما يكون له من رفعة الذِّكر، والعكس بالعكس قال تعالى﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾ الكوثر: ٣، أي مبغضك ((هو الأبتر))،أي مقطوع البركة والخير والذِّكر . . .)) شرح رسالة سفيان الثوري إلى عباد بن عباد ص:49 بقلم: خالد حمودة

= عليه فيه،بعد الإستعانة عليه بكل الوسائل الممكنة،ولم يتيسر لي مراجعته في مصادر أخرى من كتب الحديث. . . . .ثم تيقنت عدم وجوده فيه بعد أن فرغت منذ بضع سنين من اختصار صحيح مسلم. . . .)) .

1. مناقب الشافعي للبيهقي 441/1، مناقب الشافعي للرازي ص 49 .

كم... وكم...

فكم من ملوك وأغنياء... وأصحاب دنيا وأثرياء... خرجوا من الدنيا دون أن يُخلّفوا شيئاً يُذكرون به!!!،بل كان همّ بعض الملوك العظام، البناء فوق القبور بالصخور، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الناس بعد مماتهم، كما تميزوا عليهم في حياتهم، وتوخَّوْا أن يبقى ذكرهم بسببها، على تطاول الدهور، وتراخي العصور.لكن سرعان ما:

تتخلف الآثار عن أصحابها ** حيناً ويدركها الفناء

رفعت قصور طال مداها** سمح الدهر بها ثم محاها

ولو أنهم خلفوا بعض ما يملكون، صدقات تجري عليهم، لكان لهم بذلك ثواباً يلحقهم بعد مماتهم،وذكراً حسناً تتوارثه الأجيال بعدهم،لكنهم رحلوا فما لهم من شاكر ولا ذاكر، فكل امرئ بما قدمه من خير أمامه دائم، وعلى ربه قادم، وعلى ما خلف نادم.

الروح فيك وديعةٌ أُودعتها ** ستردُها بالرغم منكَ وتُسلبُ

وغُرورُ دنياكَ التي تَسعى لها ** دارٌ حقيقتها مَتاعٌ يذهبُ

والليلَ ، فاعلم والنهار كلاهما ** أنفاسنا فيه تُعدّ وتُحسبُ

وجميعُ ما حَصلته وجمعتهُ ** حقاً يقينا بعدَ موتكَ يُنهَبُ

تَبّاً لدارٍ لا يدومُ نعيمُها ** ومشيدُها عما قليلٍ يَخرَبُ

سأل رجل عائشة رضي الله عنها فقال: إن لي ثلاثة آلاف، وعندي أربعة أولاد أفأوصي؟ قالت: اجعل الثلاثة للأربعة. أما إذا فاض مال الله عندك، وبسط الله لك في الرزق، فلتدخر لنفسك عملاً صالحاً، وصدقة جارية، يمتد لك ثوابها . . . .>>

فابذل لنفسك فالأرزاق جارية*** وفضل ربك حبل ليس ينقصم

وابسط يديك فإن العمر منتقص*** يبقى الجميل وتفنى دونه الرمم

شتان بين عبدين وينبوعين

أهل القبور في قبورهم محتجزون، وبأعمالهم مرتهنون، وعن الثواب منقطعون، وبما قدمت أيديهم في هذه الحياة محاسبون، **وآخرون الحسنات عليهم متوالية ، والأجور والأفضال عليهم متتالية ، إنقطعوا عن دار العمل ، ولم ينقطع عنهم الثواب ، تزداد درجاتهم ، وتتناما حسناتهم وتتضاعف أجورهم وهم في قبورهم ،فما أكرمها من حال ، وما أعظمه وأجمله وأطيبه من مآل.

الناس صنفان: موتى في حياتهم*** وآخرون ببطن الأرض أحياء

فشتان بين:

عبد تطوى بموته صحيفة حسناته، فهو في لحده حبيس أعماله ، قد جفت آثاره وانقطعت عنه أعماله، وعبد تجري عليه الأجور كينبوع زمزم لا تحول ولا تزول فتجري عليه الحسنات العظيمة بعد مماته لتملأ صحيفة حسناته.

ينبوع زمزم باقٍ في تفجّرِه***ما غار من أثَرِ الأهوال والغِيَرِ

جفت من حوله الينابيع وذي***زمزم صافياتٍ حلو بلا كدر

فجد لنفسك عينا لا جفاف لها***تروي بها قوما وتروى بلا ضرر

شتان شتان

بين ميّت هو حي بأعماله، بعلمه وعمله،مشاريع كالشراع، يجمع المال على المال، ليترك داراً للأيتام، أملُه وكلّه أمل، أن لا ينقطع عنه العمل، وكم من حي هو ميت، ودع الأعمال في هذه الحياة، فكيف يرجوا ثمرتها بعد الممات هذا محال.

كَمْ مَيّتٍ بَعَثَ الدُّنْيَا و عاشَ بِهَا *** ما كُلُّ مَنْ ضَمَّهُ قَبْرٌ بِمَلْحُودِ

و خَامِلٍ ما لآثَارِ الحياةِ به *** سِوى وُرُودِ اسْمِه بَيْنَ الْمَوَالِيْدِ

عمر الإنسان الثاني

هذا العمر: هو الذي حرص السّلف على الاستثمار فيه، وهو الذي دل عليه النبيﷺ . . .وجمع جميع الاستثمارات في العمر الثاني.قال الشيخ عبد الرزاق العباد حفظه الله: ثمَ في هذا الباب: باب الأعمال الصالحة، لا يغب عن المؤمن الحصيف ،العمُرُ الثَاني للعبد بعد موته، وهذا جانب

في الأعمال لا يفطنُ له إ لا الموفَقون من عباد الله؛ فيكون للواحد منهم عمرا آخر في باب الأعمال بعد الموت، وهو العمر الثاني. . .و من العجيب أنَ ناسًا ،أموات في قبورهم ترّى لهم الأجورُ كل يوم وليلة، ويتضاعف الثواب ! وآخرون يمشون على الأرض وتمر الليالي والأيام والشهور ولا يحصّلون أجراً بل يحصّلون إثما ووزراً والعياذ بالله ، فيا سبحان الله في هذا التَفاوت و التباين فأين الاعتبار؟ ! وأين الإدّكار؟! وهذا مقام ينبغي على الإنسان أن يجاهد نفسه على الفقه فيه ، ثمَ يجاهدها على العمل حتَى لا يأتي عليه يوم يندم، ولاينفعه ندمُه، ومن فرَط أو ضيع يندم ندامةً شديدةً في مقامات عديد ة ولا ينفعُه الندم في تلك المقامات، ولهذا جاءت آيات في القرآن الكريم فيها إشارة إلى الندم العظيم على التفريط في الإيمان والعمل الصالح. . . . . .إلخ)).[1]

وفي باب العلوم يقول ابن القيم رحمه الله:ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام، كأئمة الحديث والفقه، لم يفقدوا منهم إلا صورهم، وإلا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع.وهذه هي الحياة حقا حتى عُدّ ذلك حياة ثانية>> .

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرَها***بصنائع المعروف والإحسان

من نال رفع الذكر عاش مخلَّدا*** فالذكر للإنسان عمر ثاني

1_ المتاجر الرابحة ص:28

وعلى هذا ينبغي للعبد المؤمن أن يفكر جاداً، ويسعى جاهداً، في ترك عمل صالح، هذا العمل الذي ستخلده ويبقى بعدك، يكون: أثراً شاهداً، وصرحاً شامخاً،تحوز به شرف الدنيا والآخرة: فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم يُنسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً،وأي خير أعظم من عبد يجري ثوابه عليه وهو في قبره، وما أكثر الأعمال الصالحة لمن وفقه الله إليها .

_وقد وقع نظري على عنوان لكتاب << خصال تعمل قبل الفوت فيمن يجري عليه بعد الموت>> لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن أبي العباس الكناني البوصيري القاهري الشافعي .لكني لم أهتد إليه.

فإليك يا أخي هذه الأعمال التي لا ينقطع ثوابها ما بقيت آثارها

قال تعالى﴿سنكتب ما قدموا وآثارهم﴾يس:12

تأملها مليا، واحرص على أن يكون لك منها سهم أو حظ أو نصيب،

ما دمت في زمن الإمهال، وقبل أن تتصرم الآجال،

وقبل غرغرة الروح وانقطاع الأعمال.

و لا أنسى،حضوري لبعض إخواني_وهو في اللّحظات الأخيرة من حياته_ وإذ به يتمنى ويأمل ، أن تكون له خصلة من هذه الخصال،وأثر من تلك الآثار، التي يبقى ثوابها ،ويدوم أجرها ،ويستمر بقاؤها وعطاؤها، وأحسب أنه قد وفّق لذلك !!! فمن يصدق الله يصدقه، ، فرحمه الله الرحيم البر،وأبقى لنا وله الذِّكر والأجر،وأدام علينا وعليه الأثر.

فما أكثر الأعمال الصالحة، والخصال الطيّبة، لمن أراد أن يخلّد شيئًا منها، فيكون في قبره متوسّد التّراب، ويصل إليه الأجر والثّواب، ولقد اخترت لك في هذه الرسالة مجموعة منها، فاختر لنفسك منها خصلة، تشغل نفسك بها، وتجاهدها على تحقيقها، يلحقك ثوابها بعد مماتك ويكون لك بها لسان صدق في الآخرين، تذكر بها بين الأحياء وأنت تحت الصفائح بين الأموات.

فأمّا الّذِي قد ماتَ والذِكرُ ناشرٌ×××× فَمَيتٌ لَهُ دِينٌ بِهِ الفَضلُ ينعَتُ

وأمَّا الَّذِي يمشِي وقَد مَاتَ ذِكرُهُ ×××× فَأحمَقُ أفنَى دِينَهُ وهُو أموَتُ

الترغيب في الأعمال الصالحات

التي يجري ثوابها على العبد بعد الممات

أصول الخير ثلاثة

-عن أبي قتادة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ <<خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجري يبلغه أجرها وعلم يعمل به من بعده>>[1]

قال القرطبي: هذه الثلاث الخصال إنما جرى عملها بعد الموت على من نُسبت إليه؛ لأنه تسبب في ذلك، وحرص عليه، ونواه، ثم إن فوائدها متجدّدة بعده دائمة، فصار كأنه باشرها بالفعل. وكذلك حكم كلّ ما سنّه الإنسان من الخير، فتكرّر بعده، بدليل قوله -ﷺ-:"من سنّ سنّةً في الإسلام حسنة، كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامه".[2]

وإنما خصّ هذه الثلاثة بالذكر في هذا الحديث؛ لأنها أصول الخير، وأغلب ما يَقصد أهل

1_ رواه ابن ماجه بإسناد صح [صحيح الترغيب]

2_ رواه مسلم

الفضل بقاءه بعدهم. .وفيه ما يدلّ على الحضّ على تخليد العلوم الدينيّة بالتعليم،و التصنيف وعلى الاجتهاد في حمل الأولاد على طريق الخير والصلاح، ووصيّتهم بالدعاء عند موته، وبعد الموت.)) إه.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ<<سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من : 1_علم علمه، 2_أو كرى نهرا، 3_أو حفر بئرا، 4_أو غرس نخلا، 5_أو بنى مسجدا، 6- أو ورث مصحفا، 7-أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته->>(1)

-وفي حديث أبي هريرة وفيه: 8- أو بيتا لابن السبيل بناه. . . 9- أو صدقة أخرجها في صحته وحياته تلحقه من بعد موته >>.(2)

_وفي حديث أبي أمامة ﷺ: <<. . 10-رجل مات مرابطا في سبيل الله. . . >>.(3)

ومن حديث سلمان مرفوعا ((. . . .ورجل مرابط يُنمَى له عمله إلى يوم الحساب))(4)

1___ رواه البزار وأبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني

2_ رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي [صحيح الترغيب برقم 77]

3_ رواه أحمد [صحيح الترغيب برقم114]

4_ ابن أبي الدنيا في كتاب العيال والطبراني في "المعجم الكبير" السلسلة الصحيحة 3984

_ 11 عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ: « كل ميت يختم على عمله، إلا الذي يموت في سبيل الله ،فإنه يجري عليه حتى يبعث ».(1)

_ 12 عن جرير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال<<من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء . . . .>> .(2)

_ 13 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ <<من خرج حاجا فمات، كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة>>(3)

_ 14 وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ << . . . . . ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة . . . . .>> .(4)

_ 15 وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ <<. . . . ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة>>(5)

1_رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد

2_ رواه مسلم.

3_رواه أبو يعلى وصححه الألباني.

4_5 المصدر السابق

_ 16 عن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال<< . .ومن حفر لميت قبراً فأجنّه فيه أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة >>.(1)

_17 وعن أبي مالك الأشعي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ << من علم آية من كتاب الله عز وجل ،كان له ثوابها ما تليت>>.(2)

فكل الناس تُطوى صحائفهم بعد موتهم،ويخفى ذكرهم،وتندرس آثارهم،وتبلى مآثرهم، غير هؤلاء المذكورين في نصوص هذه الأحاديث، فيضلُّ عملهم ينمو وموازينهم تثقل، إلى أن تقوم الساعة، ويرث الله الأرض ومن عليها .

-وقد جمع بعض هذه الخصال ونظمها في أبيات منهم:

1- الحافظ برهان الدين إبراهيم البقاعي:وقد حصرها في تسع خصال،حسب ما وصله من الأخبار

1_المصدر السابق

2_ السلسلة الصحيحة رقم:1335

فقال: للعبد يجري الأجر بعد الموت في*** تسعٍ كما قال الرسول المصطفى

إجراء نهرٍ حفر بئرٍ غرس نخ *** لٍ نشرعلمٍ والتصدق في الشفا

وبناء بيت ابن السبيل ومسجدٍ *** وبتركه ابناً صالحاً أو مصحفا .(1)

2- الحافظ جلال الدين السيوطي،حيث قال: ((وقد تحصل من هذه الأحاديث أحد عشر أمراً، وقد نظمتها وقلت:

إذا مات ابن آدم ليس يجري*** عليه من فعال غير عشر

علوم بثها ودعاء نجل *** وغرس النخل والصدقات تجري

وراثة مصحف ورباط ثغر*** وحفر البئر أو إجراء نهر

وبيت للغريب بناه يأوي*** إليه أو بناء محل ذكر

وَتَعْلِيمِ لِقُرْآنٍ كَرِيم *** فَخُذْهَا مِنْ أَحَادِيث بِحَصْرٍ].(2)

قال المحدث المناوي رحمه الله:أي هذه الأعمال، يجري على المؤمن ثوابها من بعد موته، فإذا مات انقطع عمله إلا منها، وتحصّل من الأخبار أن الذي تجري عليهم أجورهم بعد الموت، أحد عشر.

1_ نظم العقيان في أعيان الأعيان 5/1

2_ الديباج على مسلم بن الحجاج 227/4

نظمها المؤلف_يعني السيوطي_ وبسطها السخاوي.[1]

3- العلامة عبد الباقي الأثريّ الحنبلي: أضاف إليها خصلتين:

قال محمد بن أحمد السفاريني في كتابه غذاء الألباب [2] << وزاد شيخ مشايخنا العلّامة عبد الباقي الأثريّ الحنبلي عليها ثلاثة [3] ونظمها السّيوطي في أبياتٍ فغيّر بعضها شيخ مشايخنا وزاد الأخيرين فقال:

إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ جَاءَ يَجْرِي*** عَلَيْهِ الْأَجْرُ (عَدَّ ثَلَاثَ عَشْرَ)

عُلُومٌ بَثَّهَا وَدُعَاءُ نَجْلٍ*** وَغَرْسُ النَّخْلِ وَالصَّدَقَاتُ تَجْرِي

وَرَاثَةُ مُصْحَفٍ وَرِبَاطُ ثَغْرٍ*** وَحَفْرُ الْبِئْرِ أَوْ إِجْرَاءُ نَهْرِ

[وبيت للغريب بناه يأوي*** إليه أو بناء محل ذكر] [4]

وَتَعْلِيمٌ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ *** (شَهِيدٌ فِي الْقِتَالِ لِأَجَلِ بِرّ)

(كَذَا مَنْ سَنَّ صَالِحَةً لِيُقْفَى)*** فَخُذْهَا مِنْ أَحَادِيثَ (بِشِعْرِ)

1_ فيض القدير 685/2

2_ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب [30/1]:

3_ **الظاهر أنه زاد عليها خصلتين وليس ثلاثة**

4_ البيت غير موجود،وقد أثبته هنا.

4- قلت –الكاتب عفا الله عنه-: ويضاف إليها أربعة: حفر القبر، ومن مات في طريقه لغزو أو حج أوعمرة، فزدتها وغيرت بعضها فقدمت وأخرت وقلت:

إذا مـات ابن آدم جـاء يجري***عليه الأجـر عَدَّ سبع عشر

علوم بثها ودعاء نجل *** وغرس النخل والصدقات تجري

وراثة مصحف وربـاط ثغر *** شَهِيدٌ فِي الْقِتَـالِ لِأَجَلِ بِرّ

وحفر البئر أوإجـراء نهر *** (كـذاك حفر للميت القبر)

وبيت للغريـب بناه يأوي*** إليه أو بنـاء محل ذكر

(ومن مـات في طريـقه لغزو *** أوحج يا حبذا واعتمـار)

(وجاء عن الخذري فيـما رُوي ***تعليـم كلام الرحيم البر)

كَذَا مَنْ سَـنَّ صَالِحَـةً لِيُقْفَى*** فَخُذْهَا مِنْ أَحَادِيث بِحصر

فمن الصدقات الجارية

ترك علم نافع:

قالوا: هو التعليم والتصنيف.(الديباج للسيوطي)فكتابة العلم و تصنيفه، ونشره وبثه وتعليمه، والدعوة إلى كل خير وبر ،من الصادقات الجارية،وهو حياة ثانية.

قال الراجز:وبعد فالعلم حياة ثانية***لها دوام والجسوم فانية

سبق قول ابن القيم رحمه الله:ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام، كأئمة الحديث والفقه، لم يفقدوا منهم إلا صورهم، وإلا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع.

قال محمد بن عبد الله بن حميد النجدي في مقدمة كتابه "السحب الوابلة"

((أحمد من رفعَ مقدارَ العلماء وجعلهم أعلاماً، ونشر لهم في الخافقَين بالثَّناء الجميل أعلاماً، وجعل ذِكرَهم يتجدَّد على ممرِّ الأحقاب، فكأنَّهم حضورٌ وإن واراهُمُ الترابُ،...))[1].

قال ابن الملك: قيد العلم بالمنتفع به،لأن ما لا ينتفع به، لا يثمر أجراً))[2].

وفي الحديث:<<علماً علّمه ونشره>>[3] كطباعة كتب السنة، وغيرها من الكتب الشرعية هو من العلم الذي ينتفع به. وفي حديث آخر:<<وعلم يعمل به من بعده>>.وفي الحديث:<<ما من رجل ينعش بلسانه حقاً فعمل به من بعده، إلا أجري أجره إلى يوم القيامة ثم وفاه الله ثوابه يوم القيامة>>.[4]وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:<<من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل

1_ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة 3/1

2 _ مبارق الأزهار (79/2)

3 _ رواه ابن ماجة بسند حسن

4. حسنه السيوطي وقال المنذري : في إسناده نظر لكن الأصول تعضده.

آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا>>.(1)

ـ وفيه فضيلة العلم، والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه يختار من العلوم الأنفع، فالأنفع.

ـقال القرطبي: ((وفيه ما يدلّ على الحضّ على تخليد العلوم الدينيّة بالتعليم والتصنيف))

و"التَّصْنِيفُ الَّذِي هُوَ أَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ ، وَأَعْظَمُ الْأَعْمَالِ الدَّائِمَةِ الْغَيْرِ الْمُنْقَطِعَةِ وَأَقْوَى الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ لِجَمْعِهِ جَمِيعَ مُهِمَّاتِ الدِّينِ اعْتِقَادًا وَأَخْلَاقًا وَأَعْمَالًا ."

((بريقة محمودية))

ـوذكر القاضي تاج الدّين السّبكيّ: ((أنّ حمل العلم المذكور على التّأليف أقوى، لأنّه أطول مدّة وأبقى على ممرّ الزّمان)).

ـونقل عن الأخنائي ـقولهـ: هو ما خلّفه من تعليم أو تصنيف ورواية،وربّما دخل في ذلك نَسْخُ الكتاب، وتسطيرها، وضبطها، ومقابلتها، وتحريرها،والإتقان لها بالسماع وكتابة الطبقات، وشراء الكتب المشتملة على ذلك، ولكن شرطه أن يكون منتفعًا به.اهـ

ـوقال القاضي عياض: وبثّه العلم عند من حمله عنه، أو إبداعه تأليفًا بقي بعده، ووقْفه هذه

1ـ رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

الصّدقة بقيت له أجورها ما بقيت ووُجدت.

وقد يذهب العالم وتبقى كتبه*** ويفنى العقل ويبقى أثره

<<فكم من علم مبطون في كتب خلفها أولئك الأعلام، الذين لا يحصى عددهم من عهد الصحابة وإلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنتفع بها خلق في مختلف الميادين والعلوم، كعلم القرآن وتفسيره، وفي الحديث وعلومه، وغير ذلك. قال ابن القيم رحمه الله:ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام، كأئمة الحديث والفقه، لم يفقدوا منهم إلا صورهم، وإلا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع.وهذه هي الحياة حقا حتى عُدّ ذلك حياة ثانية>>.

قال أبو الطاهر محمد بن يوسف أنشدني أبو محمد بن السيد لنفسه:

أخو العلم حـيٌ خـالدٌ بعد موته *** وأوصــاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميتٌ وهو ماشٍ على الثرى *** يُظن من الأحياء وهو عديم.[1]

قال ابن الجوزي رحمه الله: ومن أحب أن لا ينقطع عمله بعد موته فلينشر العلم.

التذكرة في الوعظ

قال بعض العلماء: <<حتى إننا في هذه الدنيا لا يكاد يمر يوم، إلا وكثير من الخلق لا

1_ السير للذهبي 92/1.

يحصيهم إلا الله، في عصرنا هذا وفي أيامنا هذه، يقلبون كتباً، ونحن في القرن العشرين نقلب كتباً لأقوام ماتوا في القرن الثالث أو الرابع. .كم بيننا وبينهم من مئات السنين، فهل خطر ببالهم وهم يؤلفون الكتب في زمن لم تعرف فيه المطابع بتطورها،ولا أجهزة الفاكس ولا الرسائل الهاتفية ولا البريد السريع، هل خطر ببالهم وهم يؤلفون أنها ستقرء وتدرس بعد مئات السنين؟؟ لكن رحم الله من قال:ما كان لله بقي:

كم بارك الله في قلب فانتفع***والله إن بارك في شيء نفع.

لقد بارك الله في تلك الرسائل الصغيرة في حجمها، الجليلة في قدرها، فشرقت وغربت. وهذا من بركت الإخلاص لله تعالى، فهل سمعتم أقوام في المجالس أو المساجد يقولون قال التاجر الفلاني رحمه الله، أو قال الغني الفلاني رحمه الله، أو قال ذالك الذي نال منصبا رحمه الله؟؟ لا، ما أندر ما يُذكر أولئك مع ما كانوا فيه من الأموال والثروات والمناصب.

إننا ندعوا كلّ يوم وكلّما نقرأ لأولئك العلماء، مع أنه لا صلة بالقرابة والنسب، إلا قرابة التقوى. . . .يكفيك أن أقوامًا تحيا القلوب بذكرهم، ناهيك عن كلامهم، وإن أقوامًا أحياء تقسوا القلوب بل تموت بذكرهم، ناهيك عن كلامهم. >>إه. نعم –والله– . . .، كم من كلمات ولدت ميتة، ومن ثَمَّ جُعلت هباء مع أصحابها، لتكون من أصحاب القبور. وكم من كلمات ولدت حية، وبقيت فيها الحياة مع حياة أصحابها وبعد مماتهم، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .–هذه الكلمات تحيا أو تموت على حسب ما في

القلوب من الصدق والإخلاص>>إه.

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم *** بعد الممات جمال الكتب والسير

وبإخلاص العلماء تتراءى لنا بركة علمهم،ونوراً في أقوالهم، وقبولاً لمصنفاتهم وكلامهم.

سبحان الله! أحياء بعلمهم وأقوالهم، أموات بأجسادهم،

أهلا بأهل العلم أهلا بذكرهم * * * الطيبين ثناء أينما ذكروا

أشخاصهم تحت أطياف الثرى وهم * * * كأنهم بين العالمين قد نشروا

فهذا الإمام البخاري صاحب الصحيح، يقول ابن كثير عنه: وقد ترك رحمه الله بعده علماً نافعاً لجميع المسلمين. فعلمه لم ينقطع، بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة.))اه

لئن مات من يرعى الأنام بعلمه * * سيبقى له ذكر وصيت فينفع

وإن مات حفاظ الحديث وأهله * * سيبقى علمهم في الناس ينبع

وقال أيضا عن الحافظ ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخا:

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهدا*** حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

لقد فارقون جسوماً وأرواحاً، ولكن ذكراهم وثمرات جهودهم الجبارة المرسومة

على صفحات التاريخ، لم تزل ولا تزال تحيى حياة طيبة،

قال أبو عبدِ الله ابنِ الأعرابي:

لنا جلساء ما نـمَلُ حدِيثَهم * أَلِبَّاء مأمونون غيبًا ومشهدا

يُفيدوننا مِن عِلمهم علمَ ما مضى * وعقلًا وتأديبًا ورأيا مُسدّدَا

بلا فتنةٍ تُخْشَى ولا سوء عِشرَةٍ * ولا تَتّقي منهم لسانًا ولا يدا

فإن قُلْتَ أمواتٌ فلستَ بكاذبٍ * وإن قُلْتَ أحياءٌ فلستَ مُفَنّدا

غراس لا ينقطع أمده إلاّ بخروج الدجال

و لهذا كان أفضل الغراس الذي لاينقطع أمده إلا بخروج الدجال، غراس العلم.

فهذا الحافظ "بَقِيُّ بن مخلد القرطبي"طوّف المشرق و المغرب على قدميه، و نشر السُّنَّةَ في الأندلس و قال: "لقد غَرَستُ لهم غرسا لا يُقْلَعُ إلا بخروج الدَّجَّال".

فإن ذهب الورد الذكي فإنه*** يزول ويبقى نشره المُتَضوّعُ

وإن الفتى ماض وماض طبيبه*** وعائده من بعده والمشيّعُ

من يُرَجّى وهو حـي فما***من حقه إن مـات أن يُفقدا

نسل لا يخشى عليه موت أو عقوق

وقد عزّ على بعضهم أن يرى شيخه بلا أنثى ولا ذكرٌ، يبقى بعده ليُذكر، فأجاب إجابة

حاسمة جازمة، أنّه وإن حُرم الولد، فلن ينقطع له الأثر، لأنّ نسله الذي سيتركه بعده أغلا وأحلا من الدرر، لا يخشى عليه عقوق أو موت، هما :نشر العلم والخبر- حيث أنشد أبو عمرو محمد بن عبد الله الرزجاهي لنفسه:

وقالوا عزيز أن نراك مع الكبَرِ *** بلا ولدٍ أنثى ولا ولد ذَكَر

وذِكر الفتى يبقى له بعد موته *** فقلت دعوني إن ذا كله سمَر

ونَسْلي إذا ما مِت غُرٌّ قلائدُ *** بَثَثْتُ من المنظوم والعلم والخبرخَوالد

لا أخشى عليهن موتها *** إذا خيف موت أو عقوق من البشر.(1)

وكما قال أبو الفتح علي بن محمد البستي رحمه الله:

يقولون ذكر المرء يبقى بنسله*** وليس له ذكر إذا لم يكن له نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي***فمن سرّه نسل فإنا بذا نسلو

وفي هذا يقول العلامة البشير الإبراهيمي: أيها الوطن الحبيب

رضيت من قسمة الله أن لم يجعلني أباً لأبناء الصلب وأفلاذ القلب وحدهم، ولو خلقت لهم لحبوت وأبْوْت، وعثرت في مصلحتهم وكبوت، ولصنعت لهم ما تصنع الطير لأفراخها . . .بل

1_ السير للذهبي 133/1]

2_ أبوت: صنعت لهم ما يصنع الآباء لأبنائهم

جعلني أباً لأبنائك كلهم، يلوذون من علمي بكنف رعاية، ويعوذون من حلمي بسور حماية، فأسوق ضالَّهم ليهتدي، وأحثّ مهتديهم ليزداد هداية.

تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون

قال الشيخ السعدي :

" المعلم مأجور على نفس تعليمه ، سواء أفهم المتعلم أو لم يفهم ، فإذا فهم ما علمه ، وانتفع به بنفسه أو نفع به غيره كان الأجر جارياً للمعلم ما دام النفع متسلسلاً متصلاً وهذه تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون ، فعلى المعلم أن يسعى سعياً شديداً في إيجاد هذه التجارة ، فهي من عمله وآثار عمله ﴿ إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ .(2)

العلـــم يُحيـــي أنـــاسًـــا فـــي قبـــورهـــم
والجهـــل يُلحـــق أحيـــاءً بـــأمـــواتِ

وكما قال الشاعر: الجاهلون ماتوا قبل موتهم

والعالمون وإن ماتوا فأحياء.

ومن الصدقات الجارية :

ترك ولد صالح : وهو ممن لا ينقطع بسببه، عمل أبويه.

1_ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 184/4

2_" الفتاوى السعدية ص٤٥٠

ذكر السيوطي رحمه الله في أبياته قال: ودعاء نجل

وفي الحديث:<< سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره. . .أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته>>

وفي لفظ:<<خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: . .ولد صالح يدعو له>>.

وفي رواية<< رجل ترك عقبا صالحا فيدعو فيبلغه دعاؤهم>>[1]

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ وأحاديث الباب: تدل على أن الصدقة من الولد، تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابها . . .

وفيه فوائد:

- الفائدة الأولى: فيه فضيلة الزواج؛ لرجاء ولد صالح.
- الفائدة الثانية:أن الولد من سعي أبيه، بخلاف غيره. قال الألباني رحمه الله: . .وأن ثواب الصدقة وغيرها، يصل من الولد إلى الوالد لأنه من سعيه بخلاف غير الولد . .>>
- الفائدة الثالثة :ولد صالح. .)):فلولى صلاحه ما وصل دعاؤه، قيّده به؛ لأن الصالح هو الذي تستجاب دعوته، وتقبل أعماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾وقَالَ اِبْن حَجَر الْمَكِّي : الْمُرَاد مِنْ الصَّالِح: الْمُؤْمِن.وقال ابن الملك رحمه الله رحمه الله:قيد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره،وأما الوزر فلا يلحق بالأب من سيئة ولده إذا كان نيته

1_ السلسلة الصحيحة (برقم3984)

في تحصيل الخير.إه [1]

الفائدة الرابعة: ذُكر في الحديث أن ما يصل الميت من ولده الدعاء، ولكن هذا ليس قيداً، بل يصله سائر أعمال الخير والبر.وجاء ما يؤيد هذا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده"أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام ابن العاص نحر حصته خمسين بدنة، وأن عمراً سأل النبي ﷺعن ذلك؟ فقال:"أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد، فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك "[2]

قال الشيخ الألباني رحمه الله: والحديث دليل واضح على أن الصدقة والصوم تلحق الوالد، ومثله الوالدة بعد موتهما إذا كانا مسلمين، ويصل إليهما ثوابها، بدون وصية منهما . ولما كان الولد من سعي الوالدين، فهو داخل في عموم قوله تعالى ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ . . .وخلاصة ذلك، أن للولد أن يتصدق ويصوم ويحج ويعتمر ويقرأ القرآن عن والديه، لأنه من سعيهما، وليس له ذلك عن غيرهما، إلا ما خصه الدليل مما سبقت الإشارة إليه. والله أعلم.))[3]

---

1. مبارق الأزهار 2/ 79

2. رواه أحمد وصححه الالباني

3. الصحيحة 874/1

الفائدة الخامسة: ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: << وولداً صالحاً تركه>>قال الصنعاني: أي خلَّفه، وزِيدَ في غيره بكونه يدعو له، فيحتمل: إرادته هنا، ويحتمل أن لصلاحه يجري أجر عمله لأنه السبب في ذلك.))[1] . والإحتمال الأخير هو الذي رجَّحه ابن الملك رحمه الله تعالى بقوله:<<وإنما ذُكِر الدعاء له، تحريضا للولد على الدعاء لأبيه لا لأنه قيد، لأن الأجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلَّما عمل عملاً صالحاً سواء دعا لأبيه أو لا،كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من أكلها أو لم يدع وكذلك الأم >>[2]

وكذلك الشيخ الألباني رحمه الله حيث قال:ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة،فإن لوالديه مثل أجره،دون أن ينقص من أجره شيء لأن الولد من سعيهما وكسبهما . . .))[3]

---

1. التنوير شرح الجامع الصغير 136/4

2. مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار لابن الملك 79/2

3. وأبى ذلك شخ الإسلام رحمه الله حيث ذكر أن ((النبي ﷺ لم يجعل للأب مثل عمل جميع ابنه ، ولا نعلم دليلا على ذلك ، وإنما جعل ما يدعوه الابن له من عمله الذي لا ينقطع ، بخلاف الداعي إلى هدى ، كان له مثل أجر المدعو ، وهذا الفرق ظاهر ، وهو أن الداعي إلى هدى أراد إرادة جازمة فعل ذلك الهدى بحسب قدرته ، وهو لم يقدر إلا على الأمر به والدعاء إليه ، ومن أراد عملا إرادة جازمة ، وعمل منه ما يقدر عليه : كان بمنزلة العامل له " . انتهى .وقال أيضا : لم يثبت أن كل عمل يعمله الولد يكون لأمه أو أبيه مثل أجره ، وإنما قال ﷺ ((إذا مات ابن آدم انقطع=

وتوسط بعضهم في القول: بأنه يصله ما كان سبباً فيه ودلَّه عليه وعلَّمه إياه.

الفائدة السادسة:قول الإمام السنديّ: وفي عدّ الولد من الأعمال تجوّزٌ، لا يخفى.

تعقبه صاحب "ذخيرة المجتبى" – عفا الله تعالى عنه –قائلا: ((جعل الشارع الولد من جملة كسب الإنسان، فقد أخرج ابن ماجه بإسناد صحيح، من حديث عائشة – رضي الله عنها –، مرفوعًا: "إن أطيب ما أكل الإنسان من كسب يده، وإن ولده من كسبه"، فسمّاه كسبًا،كما عدّه في هذا الحديث من أعماله. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع، والمآب، وهو المستعان، وعليه التكلان.

ومن الصدقات الجارية:

تعليم القرآن الكريم:

عن أبي سعيد الخدري مرفوعا:<<من علّم آية من كتاب الله أو بابا من علم، أنمى الله أجره إلى يوم القيامة>>.(1)

=عمله إلا من ثلاث . . .) ، وفي الحديث الآخر : (إن الرجل إذا قرأ القرآن فإنه يكسى والداه من حلل الجنة) ، ويقال : (بأخذ ولدكما القرآن) ، ونحو ذلك مما فيه أن الوالد يحصل له نفع وثواب بعمل ولده ، لكن لا يجب أن يكون مثله . . . ، بخلاف الداعي إلى الخير ، كنبينا ﷺ، فإن له مثل أعمال أمته التي دعاهم إليها .))إه

1. رواه ابن عساكر في تاريخه و ضعفه الألباني

وثبت عن النبي ﷺ " من علم آية من كتاب الله عز وجل ، كان له ثوابها ما تليت "[1]

قال الصنعاني: لا زال أجره جاريا له، إلى قيام الساعة، وهو وقت انقطاع الأعمال، وهو من الذين يجرى أجورهم بعد الموت.))[2]

وقد قيَّض الله جل وعلا في كل عصر ومصر كوكبة عظيمة حُظِيت بهذا الأجر، منهم:

أبو عبد الرحمن السلمي راوي حديث (خَيْرُكُمْ مَنْ تعلَّم الْقُرْآنَ وعلَّمه)فسندهذا الحديث يمرّ بأبي عبد الرحمن عن عثمان عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ((فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا،وعلم القرآن في زمن عثمان حتى بلغ الحجاج بن يوسف)) [3] فمن خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج قرابة أربعين سنة،نذر فيها نفسه لتعليم القرآن في مسجد الكوفة،وفي هذه الفترة كان الجهاد قائماً وكثرت فيه الفتوحات فرآى نفسه مجاهدًا في ثغرة ظلّ يلازمها ما برح وهو يقرئ القرآن. فيا أهل القرآن،يا معلمي كتاب الله لا تبرحوا مواقعكم حافظوا على الثغور التي أنتم فيها .فهذا الحديث يستقر أثره في نفسك إذا فعلت مثل أبي عبد الرحمن

((في هذا الحديث من الفقه بيان شرف القرآن وفضل تعلمه وتعليمه، لأن الإنسان ينال بتلقنه

---

1. قال الألباني سنده جيد السلسلة الصحيحة برقم1335

2 _ التنوير شرح الجامع الصغير 317/10

3_ رواه البخاري (رقم 4639 الفتح)الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.وصححه الألباني

درجة المتعلمين وبتلقينه درجة العالمين؛ إلا أني أرى أن الأولى للفطن اليقظ أنه لو تعلم منه آية واحدة علمها في وقته، ولا يصبر حتى إذا تعلم القرآن كله علّم حينئذ، بل ليتلقن ما استطاع حفظه ثم ليلقنه لغيره إن قدر من يومه فيكون انتشار ذلك عنه– ما بلغ– نورًا يسعى بين يديه، وليكون إلى أن يختم الكتاب العزيز قد ختم غيره.))[1]

ومنهم:–الإمام العلامة، الولي الصالح الورع الزاهد، بقية السلف وعمدة الخلف، القاضي الفقيه عبد الله ابن محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عسين الشافعي: كان رحمه الله يعلم الصبيان القرآن، وحفظ القرآن عليه خلق كثير، . . .

وفي عصرنا هذا ما لا يحصى عدّه، من المشايخ من وفقوا لهذا الأجر المدخور، والعمل المبرور.

ويروى للإعتبار أن الإمام السمعاني قال: رؤي– الخياط الامام القدوة المقرئ، شيخ الاسلام أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق البغدادي الخياط الزاهد– بعد موته، فقال: ((غفر الله لي بتعليمي الصبيان الفاتحة.))[2]

فأقرئ ما استطعت من البشر *** تموت وتفنى ويبقى الأثر

1_ الإفصاح عن معاني الصحاح

2. سير أعلام النبلاء 224/19

ومن الصدقات الجارية

وراثة مصحف: كما في الحديث «ومصحفا ورّثه »رواه ابن ماجة بسند حسن .

قال المناوي رحمه الله: بتشديد ورَّث: أي خلّف لوارثه من بعده، يعني ليقرأ فيه))إه أي: تركه إرثًا، وقيل: وقفه في حال حياته.)) ويدخل فيه أيضا كما قال بعضهم،من طبع مصحفاً على نفقته،

-فهذه المصاحف التي تملأ أرجاء الدنيا قد ورّثها صحابة النبيﷺ وفي مقدمتهم أَبو بَكْرٍ الصِّدّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.الذي أمر بجمعه بمشورة من عمر فتولى جمعه زيد بن ثابت:فهو القائل:فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال.

وقد تنافس الناس في كتابة المصاحف طمعاً في هذا الأجر، ونحن نذكر من أعيانهم جماعة:

-الإمام العلامة الولي الصالح الورع الزاهد –سبق ذكره–ذكروا له فضائل كثيرة جمة منها :انه:كان ينسخ المصاحف ويجتهد في ضبطها، وتصحيح رسمها وكتب نحو خمسين مصحفاً .))[1]

-أحمد بن محمد الحلبي بن عمر بن نسوار بن عبد الباقي أبو العباس الحلبي ثم المصري المعروف بجفنجلة ـ بفتح الحاء المهملة والفاء وسكون النون ـ كان منقطعاً بمسجد المصاحب فسألته كم

---

1. النور السافر عن أخبار القرن العاشر(24/1)

كتبت مصحفاً فقال نحو المائة)) (1)

-**خطاب بن عمر الدنجيهي ثم القاهري الأزهري الشافعي**: وكتب بخطه زيادة على خمسين مصحفاً)) .(2)

-**عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد العظيم العثماني**: فقيه مالكي .كان يعلم الصبيان، وكان مع التعليم نساخا، كتب ما ينيف على سبعين مصحفا .))(3)

_**الكمال إسحاق بن أحمد المعري** المفتي الأوحد،كان في كل رمضان يكتب ختمة ويوقفه (4)

_**محمد بن عبد السلام الحلو**:كان محبوبا عند الناس معظما محترما، له عقل راجح ووجاهة، نسخ بخطه الجميل الكتب الستة ونسخ خمسين مصحفا كريما .وعندما أتم ذلك جعل وليمة أظهر فيها كرمه فرحا لما حصل عليه من نسخ ذلك ورجاء ثواب الآخرة رحمه الله .)) وغيرهم كثير وكثير. . . واليوم كثيراً ما نقرأ في مصاحف طبعت على نفقة فلان وفلان أسأل الله أن لا يحرمنا وإياهم الأجر والثواب.

---

1. الدرر الكامنة (97/1)

2_الضوء اللامع (94/2)

3. الإعلام للزركلي

4_سير أعلام النبلاء 248/23

يا رب حي رخام القبر مسكنه*** ورب ميت على أقدامه انتصبا

فاترك بعدك أثرًا، وذكرًا حسنا*** إن السباق عليك اليوم قد وجبا .

ومن الصدقات الجارية

إجراء النهر

لقوله ﷺ:<< . .أو نهراً أجراه>>[1] وفي رواية <<أو كرى نهراً>>قال المناوي . رحمه الله . كرا نهراً: من كريت النهر أكريه كرياً، إذا استحدثت حفره فهو مكرى))وقال: أي حفره وأجرى فيه الماء لتحيى به الأرض وأهلها)).[2]

والجزاء من جنس العمل، حيث أجرى الله له العمل بإجرائه النهر. ولأن الماء به حياة الناس وزروعهم ومواشيهم وفي الحديث:<< قالوا يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً فقال في كلّ كبد رطبة أجر >>.[3] وإجراء النهر من جنس زرع الأرض وقد قال ﷺ :<<ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة>>ولهذا، كان هذا النوع من الصدقة، أحبّ إلى النبي ﷺ وأفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه.

1_ رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي [صحيح الترغيب]

2_فيض القدير 685/2

3_ مالك والبخاري ومسلم

فعن سعيد :أن سعداً أتى النبي ﷺ فقال:أي الصدقة أعجب إليك؟قال:<< الماء>>.(1)

قال الشيخ عبد المحسن العباد: ((يعني أن سقيه من خير أنواع الإحسان؛ وذلك لشدة حاجة الناس إلى الماء، وعدم استغنائهم عنه، فالإحسان في بذل الماء لمن يحتاج إلى شربه، وتمكينه منه فعل عظيم، وله ثواب جزيل، وهذا الحديث يدل على عظم شأن إنفاق الماء لمن يحتاجه، وبذله في سبيل الله، وتسبيله للناس حتى يستفيدوا منه، فهو مادة الحياة، وبه حياة المخلوقات.))

وعن أنس قال: قال سعد: يا رسول الله، إن أم سعد كانت تحب الصدقة، أفينفعها أن أتصدق عنها ؟ قال: (نعم وعليك بالماء) .وفي رواية: أن النبي ﷺ أمر سعد بن عبادة أن يسقي عنها الماء>> .فدل على أن سقي الماء من أعظم القربات عند الله تعالى.

وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء .

وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب، فكيف بمن سقى رجلا مؤمناً موحداً وأحياه.

سئل ابن عباس: أي الصدقة أفضل ؟ فقال: الماء، ألم تروا إلى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة " أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله" ؟ .قال القرطبي: في هذه الآية دليل على أن

1_ رواه أبو داود وحسنه الألباني.

سقي الماء من أفضل الأعمال.[1]

معقل بن يسار: أسلم قبل الحديبية، وشهد بيعة الرضوان. قال البغويّ: هو الذي حفر نهر معقل

قصة المرأة الصالحة الأميرة أمة العزيز_ زبيدة بنت جعفر_ رحمها الله

السيدة الجليلة أم الأمين وزوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ،ذات اليد الطولا :سقت أهل مكة الماء، بعد أن كانت الراوية (قربة الماء) بدينار ! و أسالت الماء عشرة أميال –أي لتوصله إلى أهل مكة– تخط الجبال وتجوب الصخر ، حتى غلغلته من الحل إلى الحرم ، وعملت عقبة البستان –وهي أشبه بالنفق داخل الجبل– ، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كبيرة! ! فقالت: اعملها ، ولو كانت ضربة فاس بدينار،رضي الله عنها_ فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار_)

وقد رآها عبدالله بن المبارك في المنام، فقال لها: (ما فعل الله بك؟) فقالت: (غفر لي بأول معول – أي فأس– ضرب في طريق مكة)[2] ! وهذا من أهم أعمالها ولها اليوم وقف حكومي يعرف بوقف عين زبيدة ضمن الهيئة العامة للأوقاف في المملكة العربية السعودية،تكريما لها . تغمدها الله برحمته. قد مات قوم وما ماتت مكارمهم*** وعاش قوم وهم في الناس أموات

---

1. تفسير القرطبي 215/7

2. كشف النقاب عن الأسماء والألقاب 238/1 وانظر وفيات الأعيان ابن خلكان 314/2

ومن الصدقات الجارية

حفر البئر

وهو من الخصال العظيمة التي ينال بها العبد شرف استمرار العطاء –وفي الحديث: .« . . أوحفر البئرا » . وقد سبق ذكر النصوص الدالة على فضل سقي الماء ." وحفر الآبار للسقي سواء لسقيا الناس أو لسقيا الدواب من الصدقات الجارية التي يكون الثواب عليها مستمراً بهذه الصدقة، لأن أجر الصدقات منه ما هو منته بانتهاء بقائها لمن يستحقها، ومنه ما هو مستمر لاستمرار الصدقة، كبناء المساجد، فالناس يستفيدون من المسجد باستمرار، ومثل حفر الآبار ومد الماء منها إلى الناس كي يشربوا منه، فمادام النفع حاصلاً فإن الأجر مستمر ودائم، وهذا الذي هنا من الصدقة الجارية "[1]

عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إن أمي ماتت فأي الصدقة أفضل؟ قال: « الماء» . فحفر بئراً وقال هذه لأم سعد .))[2]

وعثمان بن عفان: حفر بئر رومة.

---

1. شرح سنن أبي داود للشيخ العباد .

2. رواه أبو داود وحسنه الألباني

وقد قال ﷺ: « من حفر بئر رومة فله الجنة »[1].وقد كانت رومة قبل قدوم النبي ﷺ المدينة لا يشرب منها أحد إلا بثمن ، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبي ﷺ:« تبيعنيها بعين في الجنة؟" فقال :يا رسول اللّه ! ليس لي ولا لعيالي غيرها ، فبلغ ذلك عثمان – رضي اللّه عنه – فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ،ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له ؟ قال:"نعم "قال :قد جعلتها للمسلمين » .

فائدة: قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الجمع بين لفظ الحفر والشراء: " . . . وإن كانت أولًا عيناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئرا، ولعل العين كانت تجري إلى بئر فوَسَّعَها وطواها فنسب حفرها إليه " .

وقيل: كانت رومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها ، فاشتراها عثمان بن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم ، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل.

قال أنس: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل، فقال: يا رسول الله، إن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها، فضعها يا رسول الله حيث أراك

1ـرواه الدارقطني رقم (4500)

الله.فقال: "بخ ! ذلك مال رابح، وإنى أرى أن تجعلها في الاقربين "[1]

عروة بن الزبير– هو الذي حفر بئر عروة بالمدينة، وما بالمدينة أعذب من مائها .– وبئر عروة مشهور بالعقيق» .[2] طيب الماء، وفيه يقول الشاعر:

لو يعلم الشيخ غدوي بالسحر * قصدا إلى البئر التي كان حفر

ومن الأعمال التي يجري ثوابها : الصدقة الجارية:

فأفضل أنواع الصدقات، أنفعها وأدومها . وفي الحديث ((وصدقة تجري يبلغه أجرها))[3]

وقال ﷺ<< . . .أو صدقة أخرجها من ماله، في صحته وحياته تلحقه من بعد موته >>وقال ﷺ: <<ومن تصدق بصدقة، فأجرها يجري له ما وجدت>>[4] وفي رواية<< ورجل تصدق بصدقة جارية له من بعده، أجرها ما جرت>>[5]

1_ أخرجه مالك والبخاري

2. العقيق: موضع بناحية المدينة، ويقال هما عقيقان: الأكبر وهو مما يلي الحرة

3. رواه ابن ماجة بسند حسن

4. الطبراني وحسنه الألباني

5. السلسلة الصحيحة (رقم: 3984)

والقاعدة في الصدقة الجارية: كل عمل صالح يستمرّ للإنسان بعد موته " شرح رياض الصالحين ابن عثيمين

وهنا قالوا: هي الوقف (الديباج للسيوطي)

والوقف: هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة والمراد بالأصل: ما يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه كالدور، والدكاكين، والبساتين، ونحوها ،والمراد بالمنفعة : الغلة الناتجة عن ذلك الأصل كالثمرة والأجرة وسكنى الدار ونحوها . ثبت عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:أَصَابَ عُمَرُ بِخَيْبَرَ أَرْضًا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ مِنْهُ فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ إِنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا فَتَصَدَّقَ عُمَرُ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْقُرْبَى وَالرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ))[1]

ولقد تسابق المتسابقون الأخيار، ممن أنعم الله عليهم، فحبسوا أموالهم، وأوقفوا ممتلكاتهم، وتنافسوا فيها طمعاً في وصول الثواب إليهم بعد موتهم باستمرار وجود الوقف. "وقد كان

---

1. رواه رواه البخاري ومسلم

الصحابة رضوان الله عليهم في بداية فجر الإسلام يعانون من قلة ذات اليد وضيق العيش. ولّما فتح الله عزّ وجلّ لهم خزائن الأرض وأتتهم الأموال كان همهم منصرفاً إلى كيفية استثمارها في آخرتهم".

ولهذا قال جابر رضي الله عنه :(لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة إلا وقف)[1]

أبو الدحداح أوقف ستمائة نخلة صدقة لله

روى عبد الرزاق في مصنفه قال : أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم: لما نزل:﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض ؟ قال: (نعم يريد أن يدخلكم الجنة به) . قال: فإني إن أقرضت ربي قرضا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة ؟ قال: (نعم) قال: فناولني يدك؛ فناوله رسول الله ﷺ يده: فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضا لله تعالى. قال رسول الله ﷺ: (اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك) قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: (إذا يجزيك الله به الجنة) . فانطلق أبو الدحداح حتى

1. البيهقي

جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد *** إلى سبيل الخير والسداد

بيني من الحائط بالوداد *** فقد مضى قرضا إلى التناد

أقرضته الله على اعتمادي *** بالطوع لا من ولا ارتداد

إلا رجاء الضعف في المعاد *** فارتحلي بالنفس والأولاد

والبر لا شك فخير زاد *** قدمـــه المرء إلى المعـــاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشَّرك الله بخير وفرَح *** مثلك أدى ما لديه ونصح

قد متَّع الله عيالي ومَنح *** بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله ما قد كدح *** طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخُرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، حتى أفضت إلى الحائط الآخر؛ فقال النبي ﷺ (كم منعذق رداح ودار فياح لأبي الدحداح))[1]. وفي السلسلة الصحيحة "كم من عذق دواح لأبي الدحداح في الجنة –مرارا " .

---

1. تفسير القرطبي 239/3

الدواح : العظيم الشديد العلو ،و كل شجرة عظيمة : دوحة . و (العذق) بالفتح : النخلة .(النهاية)

– وقد حبس كثير من الصحابة: كعثمان، وطلحة، والزبير، وعليٌّ، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأوقف عثمان بن عفان– رضي الله عنه– أملاكه بخيبر على أولاده، كما سبَّل بئر رومة لوجه الله تعالى._وأوقف علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– عيوناً من الماء في ينبع. كما أوقف ضيعتين تسمى إحداهما عين أبي نيزر، والثانية تسمى البغيبة، وجاء في وقفها: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر، والبغيبة، على فقراء المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة، لا تباعا ولا تورثا، حتى يرث الله الأرض وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما . . " .

_ وقد أوقفت أسماء بنت أبي بكر– رضي الله عنهما– دارها صدقة حبس لا توهب ولا تورث.

_وتصدقت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان– رضي الله عنها– بأرضها التي بالغابة صدقة على مواليها وعلى أعقاب أعقابها، حبساً لا تباع ولا توهب ولا تورث.

_وحبس خالد بن الوليد أدرعه وأعبده في سبيل الله:

((وقد كثرت المدارس وأوقافها في المشرق كثرة هائلة، حتى قال ابن جبير في رحلته: (وتكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد المشرقية وخاصة دمشق، فمن شاء الفلاح من أهل مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد يجد الأمور المعينة على طلب العلم كثيرة، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة) .ومما قاله سلطان بن علي الكتاني في وصف دمشق ومدارسها:

ومدارس لم تأتها في مشكلٍ** ما أَمَّها مرءٌ يكابد حيرةً

وبها وقوفٌ لا يزال مَغَلُّها ** وأئمة تلقي الدروسَ وسادة

إلا وجدت فتىً يحل المشكلا ** وخصاصةً إلا اهتدى وتمولا

وحسبنا أن نعلم أن الإمام النووي (المتوفى سنة :676 هـ) لم يكن يأكل من فواكه دمشق وخضرواتها لأن أكثر أراضيها وقف، وهو الإمام الورع الذي يخشى أن يكون خرج الموقوف عن الوقف بغير استحقاق)) .

- ومن الوقف الذي يعظم فيه الأجر،ويجري ثوابه على صاحبه::وقف الأراضي لدفن الموتى. وقد تسابق في تحصيل هذا الأجر المذخور كثير من الأخيار

ومنهم ممن نحسبهم :_الشيخ علي بن علي جباري: من أهالي جازان في قرية القائم أوقف أرضاً وتبرع بها لتكون مقبرة فكان أول من دفن فيها، رحمه الله

كم ذا يرينا الدهر من آثارهمُ *** عبراً وفينا الصد والإعراض

ننسى الممات وليس يجري ذكره *** فينا فتذكرنا به الأمراض

_ ومما يدخل في الصدقات الجارية: إصلاح الطرق

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:"ومن الصدقات الجارية: إصلاح الطرق، فإن الإنسان إذا أصلَح الطرق، وأزال عنها الأذى، واستمر الناس ينتفعون بهذا، فإن ذلك من الصدقات الجارية، والقاعدة في الصدقة الجارية: كلُّ عمل صالح يستمرُّ للإنسان بعد موْته."[1]

فائدة: الصدقة في حال الصحة والحياة أعظم ثواباً

قال ﷺ <<. . . أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته >>

وفيه فائدة عظيمة: وهي: أن يحرص العبد على إخراج صدقته في زمان كمال حاله، ووفور افتقاره إلى ماله، وتمكّنه من الانتفاع به،والصدقة في هذا الحال أعظم أجراً

لحديث أبي هريرة ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا

---

1. "شرح رياض الصالحين" (5/ 438).

بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا>>[1] وروى أحمد عن بُسْر بن جَحَّاش قال: بصق رسول الله في كفه، ثم قال: "يقول الله: ابن آدم، أنَّى تُعجِزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك فعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: أتصدقُ. وأنى أوان الصدقة؟"[2]

يا جامع المال يرجو أن يدوم له * كل ما استطعت وقدم للموازين

ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت * وفاته ثلث مالي للمساكين

وحاصله: أن الشح غالب في الصحة فالصدقة حينئذ أعظم أجراً، وفيه أن المرض يقصر يد المالك عن بعض ملكه ،وأن سخاءه في مرضه لا يمحو عنه سمة البخل،ومعنى شحه بالمال أن يجد له وقعاً في قلبه لما يرجوه من طول العمر ويخافه من حدوث الفقر﴿ الشيطان يعدكم الفقر﴾وفيه التحذير من التسويف بالإنفاق استبعاداً لحلول الأجل واشتغالاً بطول الأمل،والترغيب في المبادرة بالصدقة قبل هجوم المنية وفوات الأمنية .

وكما قال القائل:

---

1. رواه البخاري ومسلم

2. صحيح رواه وابن ماجه برقم (2707) وقال البوصيري في الزوائد (365/2):"إسناد صحيح رجاله ثقات

لا تمنعن يد المعروف من أحد***ما دمت حيا والعيش جنات

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم***وعاش قوم وهم في الناس أموات

_إجراء الصدقة عن الميت:

ومن الصدقة الجارية: الصدقة التي يُجريها وليّ الميت بعد موته، فيلحقه ثوابها، مع أن أعماله انقطعت لحديث عبد الله بن عباس ﷺ.أن سعد بن عبادة – أخا بني ساعدة – توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت، وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشئ عنها ؟قال: نعم، قال: فإني أشهدك أن حائط المخراف صدقة عليها) .[1]

من الصدقات الجارية بناء بيت لابن السبيل

وكن رجلا إن أتوا بعده*** يقولون:مرّ وهذا الأثر

مشروعك هذا ، سبب من أسباب سدّ حاجات الأيتام والفقراء وطلاب العلم وغيرهم، كما قال ﷺ<<أو بيتا لابن السبيل بناه >>: أي للمسافر، سمّي به؛ لملازمته للسبيل)) .[2]

1_ رواه البخاري، و المخراف: أي بستاناً مثمراً

2_مشارق الأنوار الوهاجة 436/4

(بناه)((لله تعالى لا للرياء، يعني خانا تنزل فيه المارة من المسافرين بنحو جهاد أو حج))[1] وفيه فضل بناء الدور ووقفها سواء لابن السبيل أو لطلاب العلم أو دارا للأيتام والفقراء والأرامل والمساكين، وهذا من الخير العظيم الذي يوفق إليه المرء ويتركه من بعده صرحاً شامخاً شاهداً على عمله الصالح.

وفي صفحات التاريخ الإسلامي، الكثير من الروائع التي سطرت في رعاية الأيتام وكفالتهم،وهم قد غُيِّبوا في الثَّرى، لكن ما غاب ذِكرهم، وما مُحِي أثرهم، بل إنَّ ذكْرَهم بعد مَماتهم أكثر من ذِكر كثيرٍ من الأحياء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء منهم:

-الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك صاحب فكرة إنشاء معاهد أو مراكز رعاية الأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة، فأنشأ (عام 707م – 88هـ) مؤسسة متخصصة في رعايتهم، وظّف فيها الأطباء والخُدّام وأجرى لهم الرواتب، ومنح راتبًا دوريًّا لهم، وقال لهم: "لا تسألوا الناس"، وبذلك أغناهم عن سؤال الناس.

-نور الدين محمود زنكي رحمه الله

وكان لنور الدين محمود زنكي، أوقاف على جميع أبواب الخير وعلى الأرامل والمحاويج، وكان

1_فيض القدير 685/2

اليتيم يُدرّب على حسن التصرف بالمال، لأنه سيتصرف بهذا المال بعد أن يصيح أهلاً للتصرف.

ذكر ابن العماد الحنبلي ـ رحمه الله ـ في ترجمته سنة تسع وستين وخمسمائة أنّه بنى المكاتب للأيتام ووقف عليها الأوقاف.

-عماد الدين عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم بن الترجمان الحلبي: كان ذا ثروة وبنى مكتبًا للأيتام ووقف عليه وقفًا .ذكره عنه أيضا ابن العماد

-صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ :أوّل من أوقف الأوقاف في العصر الأيوبي من أجل الأطفال الفقراء والأيتام، وقد أوقف رحمه الله قطعة أرض على صبي صغير وجد فيه نبوغًا وتميزًا .

-وانشأ الظاهر بيبرس ـ رحمه الله ـ مكتب سبيل بجوار مدرسته، وقرر لمن فيه من الأيتام الخبز كل يوم، والكسوة في فصلي الشتاء والصيف.

_ وفي عصرنا الحاضر: هناك مراكز كثيرة للتعليم، أنشأها أصحابها وسهروا على بنائها وإعمارها وهي أكثر من أن تذكر منها:

ـ دارالطالب _بمدينة معسكر_

هكذا سماها شيخنا العلامة الفقيه بن حنفية العابدين ، أعلا الله قدره في العالمين وهو ممن

ساهم ورابط على إنشائها وهي تسمية بديعة ولها قصة.وقد شاهدتها صرحاً شامخاً يأوي إليها الطلبة ، يقرؤون ويتعلمون ويتفقهون بها ، جعلها الله في ميزان حسنات أصحابها.

. وحدثني أحدهم: أن بعض الأخيار قد بنى عمارة، جعلها ملجأً يأوي إليه المرضى، ممن جاءوا من بلاد بعيدة، ولم يجدوا لأنفسهم مكاناً، فترة بقائهم للعلاج بالمستشفى الجامعي بمدينة وهران . فيقصدون هذا المبنى للمبيت والإقامة فيه.فجزاه الله خيراً وجعل عمله ذخراً وأعظم أجرا .

لعل بنائي أن يكون مذكراً*** لكم بالدعا بالعفو حين أغيب

ولا سيما بعد الممات عسى به *** يطيب مقام أو تزول ذنوب

أعمال ومواقف تشرق لها الدنيا وتبتسم، عباد وإن كانوا سيتوارَوْن عن الأنظار لكن أعمالهم ستتراءى للأجيال في صفحات لم يطوها الدهر.

من الصدقات الجارية

بناء المساجد

محل ذكر الله رب العالمين، ومهبط الملائكة المقربين واجتماع المؤمنين <<في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه>>

فهذه المساجد، التي تملأ أرجاء الأرض من شرقها إلى غربها، رفعت مناراتها وقد مات رافعها، تاركاً خلفه نهراً من الحسنات يجري عليه، كلّما تلا فيها تال، أو ذكر الله ذاكر، أو صلى مصل، أو بث فيها من علم. ويضاف إلى ذلك أن ذاك الجزاء من جنس العمل فـ((من بنى بيتا لله ،بنى الله له بيتا في الجنة)) ويحصل هذا الأجر لمن بناها، أو ساهم ولو بالقليل في بنائها .

_عثمان ﷺ: عن عروة بن الزبير قال: لما زاد عثمان في المسجد قال علي: ما أحسن ما صنع ! سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة.

_عمّار بن ياسرﷺ :عن القاسم بن عبد الرحمن قال: عمّار بن ياسر أوّل من بنى مسجداً لله))وعُدّ ذلك من مناقبه كما في أسد الغابة، وأنظر تاريخ الإسلام ،والسير، وتاريخ بغداد . . . . .

قال السُّهَيْليّ: إنما عنى بهذا: مسجد قباء، لأنه هو الذي أشار على النبيّ ﷺ ببنيانه. وهو الذي جمع له الحجارة. فلما أسسه رسول الله ﷺ استتم بنيانه عمّار.

_عنبسة أبو خارجة بن خارجة الغافقي

كان شيخاً صالحاً عالماً باختلاف العلماء، ثقة مأمون رجل صالح مستجاب الدعوة، وكان

سحنون يجله ويعرف حقه،ومن عجائبه أنه بنى مسجداً عظيماً فيه نحو عشرين سارية عظاماً فقالوا له: من يرفع هذه السواري؟ قال: الذي خلقها فأصبحت السواري مرفوعة ورؤوسها عليها .))الديباج المذهب

_القاسم بن عبدالرحمن أول من بنى مسجداً يصلي فيه عمار بن ياسر))تهذيب التهذيب

_يوسف الخشاب الحلبي: كان ديناً، بنى مسجداً بحلب، بالقرب من ساحة ابن بزا يعرف بمسجد المجاور)) .الكواكب السائرة

تلك آثارنا تدل علينا *** فانظروا بعدنا للآثار

ومن الصدقات الجارية:

من مات مرابط

وسمي الرباط رباطا: لأنهم كانوا يربطون خيولهم بجانبهم انتظارا لمعركة يكرون أو يدفعون بها على الثغور، فسمي المقام بالثغر رباطاً وإن لم يكن فيه خيل .

قال ﷺ ((أربعٌ من عَمَلِ الأَحياءِ يجرِي للأمواتِ)):وذكر منها.. .ورجل مرابط يُنمَى له عمله إلى يوم الحساب) .

وثبت في الحديث عن النبي ﷺ :<<من مات مرابطا في سبيل الله، أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر >>[1]. وفي الحديث الآخر: أربع من عمل الأحياء يجري للأموات. .وذكر منها:<<ورجل مرابط ينمى له عمله إلى يوم الحساب>>[2]

مرابط في سَبيلِ اللهِ مُجتَهد *** مُؤَيد مِنْ جَنَابِ القُدْسِ مَنْصُور

لاَ تَحسبنه قَد مَاتَ بَل *** هُوَ ذَا حَيَّ بين الأنام مذكور

لَهُ أرزاق وآثار مُخلدة *** تَجرِي عَلَيه بِوَجه غَير مَشعُور

لكن: هل يجري على المرابط جميع ما قدمه في حياته، أم أجر رباطه فقط؟؟

قال ابن الملك:ومعنى حديث المرابط: أن ثواب عمله الذي قدمه في حياته ينمو له إلى يوم القيامة.إه [3] كما جاء في الحديث الصحيح« من مات يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة» .لكن الإمام الطحاوي رحمه الله: فهم من النص غير

---

1. صحيح ابن ماجه (رقم 2767)

2_ السلسلة الصحيحة برقم (3984)

3_ مبارق الأزهار 79/2

ذلك حيث قال: أن ما يعطاه الميت في رباطه ينقطع ذلك عنه كما ينقطع عمل غيره من الموتى عنه، وإن كان عمله ينمو له إلى يوم القيامة، فإنه ذلك العمل بعينه لا عمل سواه يلحق به.إه ويشهد لما ذكره الطحاوي ما رواه سعيد بن منصور عن أبي أمامة ، قال:« كل عمل ابن آدم ينقطع إذا مات صاحبه غير الرباط ، فإنه يجري لصاحبه مثل أجر المرابط الحي إلى يوم القيامة » . عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قال: «كُلُّ عَمَلٍ يَنْقَطِعُ عَنْ صَاحِبِهِ، إِذَا مَاتَ إِلَّا الْمُرَابِطَ فَإِنَّهُ يَجْرِي عَلَيْهِ الرِّبَاطُ حَتَّى يُبْعَثَ مِنْ قَبْرِهِ »[1]

نعم، حتى ولو انقطع جميع عمله إلا هذه العبادة، فأعظم وأنعم به من ثواب يجري عليه، ومعلوم أجر المرابط في السنة الصحيحة فقد ثبت عند مسلم أن النبي ﷺ قال« رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه. . . . » وقال ﷺ:« رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . . » البخاري ومسلم وقال ﷺ «رباط شهر خير من صيام دهر . .» رواه الطبراني وقال أبو هريرة ﷺ :« لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود .» السلسلة الصحيحة وجاء عن أبي هريرة ﷺ أنه : كان في

1. رواه سعيد بن منصور في سننه

الرباط ففزعوا فخرجوا إلى الساحل ثم قيل : لا بأس فانصرف الناس وأبو هريرة واقف فمر به إنسان فقال : ما يوقفك يا أبا هريرة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود>> .(1)

وفي صفحات التاريخ، التي سطّرت لأولئك المرابطين، وقد بقي لهم الذكر والثناء الجميل إلى يوم الدين، منهم:

_عبدالرحمن بن هرمز الاعرج: قال الذهبي: ((اتفق أن الاعرج سافر في آخر عمره إلى مصر، ومات مرابطا بالإسكندرية.)) (2)

_علي بن رباح: وكان من كبار علماء التابعين نزل إفريقية، فلم يزل مرابطا بها إلى أن مات))

_الاوزاعي: عالم الأمة. قال الوليد بن مزيد: كان الاوزاعي من العبادة علي شئ ما سمعنا بأحد قوي عليه، ما أتى عليه زوال قط إلا وهو قائم يصلي. قال الذهبي: تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات.)) (3)

_الجوهري : الإمام الحافظ المجود، توفي مرابطا بعين زربة>>. زربى: بفتح الزاي،

1- السلسلة الصحيحة (رقم 1068)

2_ سير أعلام النبلاء 5/ 70

3_ المصدر السابق 7/ 107

وسكون الراء، وباء موحدة، وألف مقصورة ـ كذا ضبطها ياقوت، وقال: هو بلد بالثغر من نواحي المصيصة.

ـ ابن القاص: الإمام الفقيه، شيخ الشافعية وتوفي مرابطا بطرسوس.

ـ نجم الدين أيوب: صاحب مصر، الملك الصالح، نجم الدين أيوب ابن الكامل توفي بالمنصورة مرابطاً ،وغيرهم كثير وكثير.

ومن الصدقات الجارية

شهيد المعركة

ذكر عبد الباقي الأثري في من لا ينقطع عمله من بعده، شهيد المعارك فقال رحمه الله: [شهيد في القتال لأجل بر]

وهذا لما رواه عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ: « كل ميت يختم على عمله إلا الذي يموت في سبيل الله ، فإنه يجري عليه أجر عمله حتى يبعث »[1]

ويشهد له حديث الخروج إلى الغزو كما سيأتي.

وقوافل شهداء المعارك يطول تعدادهم، كيف والجهاد ماض ومُضِيّه يكون هناك قتلى

---

1. رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد .

وشهداء، وفي زماننا ما يكاد يمر يوم إلا ويسقط فيه ممن نحسبهم إن شاء الله من الشهداء . وقدذكرت نمادجاً من شهداء المعارك في كتابنا ((الأرواح الزكية ممن حفظت أجسادهم بعد المنية)) .

فإن يك أفنته الليالي فأوشكتْ *** فإنّ له ذكرًا سيفني الليالِي

ومن الصدقات الجارية

من مات في طريقه إلى الغزو

والغازي_ذاهبا أو آيبا_ أعم من شهيد المعركة، وإن كان لا يعطى حكم شهيد القتال إذا هلك في طريقه إليه، ولهذا ضممته إلى أبيات الحافظ السيوطي بزيادة عبد الباقي الحنبلي فقد خصّ هذا الأخير _رحمه الله_ الشهيد دون غيره فقال: [شهيد في القتال] وكان الأولى أن يعم.وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال <<.... ومن خرج غازيا فمات، كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة>>.(1)

قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: "أورد أبو داود باباً فيمن مات غازياً، يعني من مات في الغزو، سواء كان ذلك في المعركة أو في غير المعركة، وسواء مات ذاهباً أو آيباً، وأورد فيه حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه. قوله: [(من فصل في سبيل الله)]

---

1. رواه أبو يعلى قال الألباني صحيح لغيره

يعني: خرج مجاهداً في سبيل الله. قوله: [(فمات)] يعني: بدون قتل من الكفار له أو خطأ من المسلمين أو غير ذلك وإنما مات بغير سبب وليس بقتل..."[1]

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ: بَلَغَنِي عَنِ الثِّقَةِ: «أَنَّ الْغَازِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ عَدَدَ مَا خَلَّفَ وَرَاءَهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَالْبَهَائِمِ يُجْرِي عَلَيْهِ بِعَدَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِيرَاطٌ قِيرَاطٌ، كُلَّ لَيْلَةٍ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ قَالَ مِثْلَ أُحُدٍ»[2]

وعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: «مَثَلُ الْغَازِي مِثْلُ الَّذِي يَصُومُ الدهر وَيَقُومُ اللَّيْلَ». [3]

في طريقهم إلى الغزو

_أبو طلحة الأنصاري:

عن أنس: أن أبا طلحة قرأ << انفروا خفافا وثقالاً فقال : استنفرنا الله ، وأمرنا شيوخنا وشبابنا ، جهزوني ، فقال بنوه : يرحمك الله ! إنك قد غزوت على عهد رسول الله ﷺ،

1. شرح سنن أبي داود
2. رواه عبد الرزاق في مصنفه
3. _ رواه عبد الرزاق في مصنفه

وأبي بكر ، وعمر ، ونحن نغزو عنك الآن . قال : فغزا البحر ، فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا سبعة أيام ، فلم يتغير>>.[1]

_ أبو ذؤيب الهُذَلي: الشاعر المشهور ((قال الْمَرْزَبَانِيُّ: كان فصيحًا كثير الغريب متمكنًا في الشعر، وعاش في الجاهلية دهرًا، وأدرك الإسلام فأسلم.)) حدث أبو الحارث عبد الله بن عبد الرحمن بن سفيان الهذلي، عن أبيه ـ أن أبا ذؤيب جاء إلى عمر في خلافته، فقال: يا أمير المؤمنين، أيُّ العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله. قال: قد فعلت، فأيُّ العمل بعده أفضل؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: ذاك كان عليّ ولا أرجو جنةً ولَا أخشى نارًا، فتوجَّه مِنْ فَوْرِه غازيًا هو وابنه وابن أخيه أبو عبيد حتى أدركه الموت في بلاد الروم، والجيشُ يساقون في أرض عافة، فقال لابنه وابن أخيه: إنكما لا تتركان عليّ جميعًا فاقترعا، فصارت القرعة لأبي عبيد، فأقام عليه حتى وَارَاه.)).[2]

وجاء في أسد الغابة أنه<< توفي في خلافة عثمان، ﷺ، بطريق مكة، فدفنه ابن الزبير. وقيل: إنه مات بمصر منصرفًا من غزوة إفريقية، وكان غزاها مع عبد الله بن الزبير ومدحه،

---

1. أخرجه الحاكم وابن حبان

2. الإصابة في تمييز الصحابة

فلما عاد ابن الزبير من إِفريقية عاد معه، فمات، فدفنه ابن الزبير. وقيل: إِنه مات غازيًا بأَرض الروم، ودُفِن هناك

_ هارون الرشيد: الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي. . . قال الذهبي رحمه الله: حج غير مرة ، وله فتوحات ومواقف مشهودة ، ومنها فتح مدينة هرقلة ، ومات غازيا بخراسان. .>>[1]

_أبو مسلم عبد الله بن ثوب الخولاني: من أجل سادات التابعين ، أسلم في حياة النبي ﷺ و لم يلقه–وله قصة عجيبة شبيهة بقصة إبراهيم الخليل عليه السلام –قال الذهبي: كان مجاب الدعوة كثير العبادة، توفّي بأرض الروم غازياً سنة 62هـ.

لعمرك ما وارى الترابُ فعالَهم*** ولكنّه وارى ثيابًا وأعظمًا

من الصدقات الجارية

من مات في طريقه لحج أو عمرة

وهذا مما يجري ثوابه على صاحبه، وهو موسّد في تربته وأعظم به من ثواب ،ولهذا لما كانت خطواتهم في طاعة الله، والخطوات تمحو الخطيئات وترفع الدرجات، كتب الله لهم تلك

1- سير أعلام النبلاء 290/9

الخطوات بكامل أجرها، وذلك من فضل رب العالمين، كما قال ﷺ « فإنَك إذا خرجت من بيتك تؤم البيتَ الحرام لا تضع ناقتكَ خفًا ولا ترفعه إلاَ كتب الله لك به حسنةً، ومحا عنك خطيئة.>>(1).ليس هذا فحسب، بل يحرز بنيته أجر الحاج والمعتمر كاملاً غير ناقص.لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من خرج حاجاً فمات، كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرا فمات،كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة..» (2) ويدل على ذلك أيضاً، حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس: "أن رجلاً عرضت له ناقته، فوقصته، فمات وهو محرم، فأمر النبيﷺ أن يغسل بماء وسدر، وأن يكفن في ثوبيه، ولا يقربوه طيباً ولا يغطوا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً" أخرجاه في الصحيحين. فقد كان ملبيا، ومات ملبيا، ويبقى ملبيا يجري عليه أجر عمله حتى يبعث ملبيا .

فائدة: قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: وهو يدل على أن حكم الإحرام لا ينقطع بالموت، وهو مذهب أحمد والشافعي وداود . وقال أبو حنيفة رحمه الله ومالك: ينقطع.

---

1. صحيح الترغيب

2. رواه أبو يعلى من رواية محمد بن إسحاق وبقية رواته ثقات وصححه لغيره الألباني

وفي الحديث حجة عليهما ."إه [1]

في طريقهم إلى الحج

_الحافظ البرزالي صاحب التاريخ والمعجم << كان إذا قرأ الحديث ومر به حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته وهو محرم فمات فقال رسول الله ﷺ<<اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه<< فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا>> قال الصنعاني: وهي كرامة عظيمة.

فكان–البرزالي– إذا قرأه يبكي ويرق قلبه فمات محرما بخليص>> صدق الله فصدقه الله

_الشيخ الامام الواعظ العالم المحدث أبو أحمد، معمر بن عبد الواحد بن رجاء ابن الفاجر

قال ابن الجوزي رحمه الله: كان من الحفاظ الوعاظ، وله معرفة حسنة بالحديث، كان يخرج ويملي، سمعت منه بالمدينة، مات بالبادية ذاهبا إلى الحج،، فِي ذِي القَعْدَةِ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.[2]

---

1. مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن166/1 وطبع بعنوان مثير العزم الساكن. . .بتحقيق:مرزوق علي إبراهيم

2. سير أعلام النبلاء 486/20

_ إبراهيم بن عبد الوهّاب بن محمد بن إسحاق بن مندة. الشّيخ الصّالح أبو إسحاق.

توفّي في ذي الحجّة في طريق الحجّ رحمه اللّه. [1]

_أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الطوسي الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، قال ابن عقيل: بهر العقول سيرة النظام جوداً وكرماً وعدلاً، وإحياءً لمعالم الدين، كانت أيامه دولة أهل العلم، ختم له بالقتل وهو مار إلى الحج في رمضان،فمات ملكاً في الدنيا ،ملكاً في الآخرة،

_الشيخ يحيى بن الفقيه الصالح محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا الشاوي الجزائري المالكي، المحدث المفسر الأصولي المنطقي المتكلم، سافر في آخر أمره إلى الحج في البحر،فمات هو في السفينة يوم الثلاثاء عشرين شهر رمضان سنة ست وتسعين وألف.

_مُحَمَّدُ بنُ طَاهِرِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ المَقْدِسِيُّ

قال الذهبي:كَثِيْرَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، مَاتَ بِبَغْدَادَ مُنْصَرِفاً مِنَ الحَجِّ.)) [2]

_ وكيع بن الجراح

قال أبو هشام الرفاعي: مات وكيع سنة سبع وتسعين ومئة يوم عاشوراء فدفن بفيد، يعني

---

1. تاريخ الإسلام للذهبي 7/ 420
2. سير أعلام النبلاء 365/19

راجعا من الحج.[1]

_يوسف بن مكي بن علي بن يوسف

قال الحافظ ابن عساكر: ولما عزم الناس على الحج سنة خمس وخمسين كان عندي في يوم عيد الفطر، فجرى ركب الحج، فقال: لو استفتيت لأفتيت، إن الخروج إلى الحج في هذا العام معصية لقلة الماء في الطريق. فما مضت إلا أيام حتى عزم على الحج، وقال: أمضي، فلعلي أموت في الطريق، فكان كما توقع في نفسه))[2]

أبو العباس وَهْبُ بنُ جَرِيْرِ بنِ حَازِمِ بنِ زَيْدٍ الأَزْدِيُّ ،الحَافِظُ، الصَّدُوْقُ،قال عنه الذهبي:توفي بِالمَنْجَشَانِيَّةِ، عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ المَدِيْنَةِ، مُنْصَرِفاً مِنَ الحَجِّ، فَحُمِلَ حَتَّى دُفِنَ بِالبَصْرَةِ فهؤلاء السّادة، وغيرهم كثير وكثير، ممن نالوا هذه الكرامة وافتهم المنية ذاهبين أو قافلين من هذه العبادة فكتبت لهم بذلك صدقة جارية فرحمهم الله.

---

1. المصدر السابق 166/9

2. مختصر تاريخ دمشق 278/8

_أحد الصالحين ذكر صاحب كتاب "يا ليت قومي يعلمون)، قال حدثني أحد الصالحين قائلا: كان هناك رجل صالح من أهل الطائف، كان عابدا فاضلا، نزل مع بعض أصحابه إلى مكة محرما، ودخلوا الحرم بعد أن انتهت صلاة العشاء، فتقدم ليصلي بهم، وهو محرم قد خرج لله ﷻ كما يحسب، فقرأ سورة الضحى، فلما بلغ قول الله عز وجل ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾شهق وبكى وأبكى، فلما قرأ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ترنح قليلا ثم سقط ميتاً .

كل الأمـــور تزول عنك وتنقضي***إلا الثناء فإنه لك باقي

ولو أني خيرت كل فضيلة *** ما اخترت غير محاسن الأخلاق

من الصدقات الجارية

حفر القبر

قال ﷺ <<من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة ومن كفن ميتا كساه الله من سندس وإستبرق في الجنة ومن حفر لميت قبراً فأجنه فيه أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة>>(1) جاء في كتاب الطبقات لابن سعد: عن هشام بن

1. رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني

عروة عن أبيه أنه قال: كان بالمدينة حفاران أحدهما يحفر الضريح والآخر يحفر اللحد، وأنه لما قبض رسول الله ﷺ قالوا: أيهما يسبق أمرناه فيحفر للنبي ﷺ قال: فسبق الذي يحفر اللحد>>وفي رواية–كان بالمدينة رجلان أحدهما يلحد والآخر لا يلحد فقالوا أيهما جاء أولا عمل عمله فجاء الذي يلحد فلحد لرسول الله ﷺ>>(1)

_ وهو أبو طلحة زيد بن سهل يحفر كحفر أهل المدينة والآخر هو: أبو عبيدة بن الجراح يحفر كحفر أهل مكة (2) فأي شرف أحرزه هذا الذي تولى بيديه حفر قبر نبيه ﷺ وتأمل مدى الأجر الذي يجري عليه.

قال ابن الجوزي: كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشتري الحاجة من السوق، وأبو بكر رضي الله عنه يتجر في البز. وأبو عبيدة بن الجراح يحفر القبور، وأبو طلحة أيضاً وابن سيرين يغسل الموتى>>(3)

---

1. حسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة

2_ ثقات ابن حبان 2/ 158

3_ صيد الخاطر ص:129

_ أبو فروة: – واسمه كيسان – مولى الحارث الحفار؛ مولى عثمان بن عفان ﷺ. أدخل المدينة وعليه فروة،–فكني بها_ اشتراه عثمان ﷺ وأعتقه، وجعل يحفر القبور،>>[1]

وفي أنساب الأشراف:ابتاعه منه عثمان بن عفان فأعتقه وجعله يحفر القبور ولما وثب الناس بعثمان قال له: يا عثمان رد المظالم، فقال له عثمان: أنت أولها، ابتعتك من مال الصدقة لتحفر القبور فتركت ذلك.

_ سعيد بن أبي سعيد كيسان أبو سعد المدني المقبري:" بفتح الميم، وضم الباء وفتحها نسبة إلى المقبرة لمجاورته لمقبرة المدينة، وقيل: لأن عمر جعله على حفر القبور بالمدينة ، أفاده النووي في تهذيب الأسماء.

وذكر السمعاني في الأنساب:237/2: باب الحاء والفاء الحفار: بفتح الحاء المهملة والفاء المشددة وفي آخرها الراء بعد الالف، هذا الاسم لمن يحفر القبور، والمشهور بهذه النسبة

_أبو بكر محمد بن علي بن عمرو الحفار الضرير من أهل بغداد . . . .

_وأبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر بن الرزبان الحفار، من أهل بغداد

1_ وفيات الأعيان2 / 294

_ أحمد بن علي المزي بن حسن المزي الحفار>> [1]

_محمد بن أبي بكر بن عبد السلام بن إبراهيم الصالحي المقرئ الحفار>> [2]

_بشر بن منصور :الامام المحدث الرباني القدوة،قال ابن المديني: حفر قبره،[×] وختم فيه القرآن، وكان ورده ثلث القرآن. [3]

_ أبو سنان ضِرَار بن مُرّة: كان من خيار الناس. قال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا، حَفَر قبره[×] قبل موته بخمس عشرة سنة، وكان يأتيه، فيختم فيه القرآن."وقد ثبت في الحديث الصحيح<< . .وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة>>[4]

1_2 الدرر الكامنة [68/1 . 481

×_ولا يستحب للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت، فإن النبي ﷺ لم يفعل ذلك هو ولا أصحابه، والعبد لا يدري أين يموت، **وإذا كان مقصود الرجل الاستعداد للموت، فهذا يكون من العمل الصالح**.))كذا في"الاختيارات العلمية"لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. أحكام الجنائز ص:204

3_ سير أعلام النبلاء 360/8

4_ صحيح الترغيب (1685)

نكتة لطيفة:

((مرّ داود القصاب بامرأة عند قبر وهي تبكي، فرق لها فقال لها: من هذا الميت منك؟ قالت: زوجي؛ قال: وما كان يعمل؟ قالت. يحفر القبور؛ قال: أبعده الله أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها !))[1]

من الصدقات الجارية

غرس الشجر

وفي حديث السبعة <<سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته ....أو غرس نخلا...>>

وفيه فوائد:

_ذكر النخل في الحديث: لأنها جزء من حياة الناس وأنفعها والنخل سيد الأشجار.[2] وأشرفها وقيل أنها شجرة مباركة لكثرة إيرادها في القرآن فبها يسعد الكثيرون من الصائمين في العالم الإسلامي بأن يبتدئوا إفطارهم بشق تمرة وقد تغزل بالنخلة الشعراء وأحسنوا في

1_ المجالسة للدينوري رقم [3261]

2_ كما وصفها أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري المتوفى سنة 248 هجرية 862 ميلادية

وصفها شجرة وثمرة حتى قال أحدهم:

أهذا هو النخل ملك الرياض**أمير الحقول عروس العزب

طعـام الفقير وحلــوى الغني**وزاد المسـافر والمغترب

فيا نخلة الرمل لم تبخلي**ولا قصرت نخــلات الترب

_ذكر النخل ليس قيداً بل غيره من الأشجار وأنواع الغراس مما يلحق الميت بعد موته،ففي الحديث عن جابر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ << ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة و ما سرق منه له صدقة و ما أكل السبع منه فهو له صدقة و ما أكلت الطير فهو له صدقة و لا يرزؤه (أي ينقصه و يأخذ منه) أحد إلا كان له صدقة (إلى يوم القيامة) >>[1] وفي الصحيحين <<ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة>> وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال :" إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها " . (الفسيلة) هي النخلة الصغيرة و هي (الودية) .

---

1. رواه مسلم

_قال الشيخ الألباني كما في الصحيحة معلقا على هذه الأحاديث :

و لا أدل على الحض على الاستثمار من هذه الأحاديث الكريمة ، لاسيما الحديث الأخير منها فإن فيه ترغيبا عظيما على اغتنام آخر فرصة من الحياة في سبيل زرع ما ينتفع به الناس بعد موته فيجري له أجره و تكتب له صدقته إلى يوم القيامة .و قد ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله " باب اصطناع المال "إه

فهؤلاء الجِلّة أتباع هذه المِلّة قد وارى التراب أجسادهم، وغابت عن الأنظار ملامحهم ودُرست مقابرهم، لكن بقيت أسماؤهم، وخلدت مآثرهم، وجرت أعمالهم، وامتدت آثارهم، فلا زال ملك حسنـــاتهم يكتب ويسجل في صحـــائف أعمالهم من عظيم أجر تمتد كالبحر، وسيظل يسجل ويسجل إن شاء الله، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ما بقيت . . . إلى آخر الدهر.

ومن الصدقات

من سن سنة حسنة:

ما أحلى أن يجد العبد في صحيفته حسنات وحسنات،لم يبذل فيها كبير جهد ولم يتعب فيها . فكان ولا بد ،كمن يملأ ميزانه بطاعات ،عملها غيره، وأنت إذا أردت أن تنال بعض منالهم فاكرع من حياضهم واترك بعدك خيرا قبل ان تترك .

ماتوا وغُيِّبَ في الترابِ شُخُوصُهم *** فالنَّشرُ مسكٌ والعظامُ رميمُ

قال ﷺ <<من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها، و [مثل] أجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ، ومن سن سنة في الاسلام سيئة كان عليه وزرها . و [مثل] وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ،[ثم تلى هذه الاية: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ أخرجه مسلم وفي رواية «مَنْ سَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ، كَانَ لَهُ أَجْرُهُ كَامِلًا، وَمِنْ أُجُورِ مَنْ اسْتَنَّ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ اسْتَنَّ شَرًّا فَاسْتُنَّ بِهِ،

فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ كَامِلًا، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِي اسْتَنَّ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»[1]

<<من سن . . .>>أي: فعل فعلًا وقال قولًا يحتمل عليه ويسلك فيه. <<فلا يَزَالُ يَقَعُ على مبدعها كِفْلٌ منها من أجرٍ، أو وزرِ ما دام يَفْعَلُهَا الناسُ.>>

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ <<إن الدال على الخير كفاعله>>أي في الأجر والدلالة على الخير بالفعل كأن يفعل فعلاً صالحاً يقتدي به فعله فيكون نظير من سن سنة حسنة بالقول كتعليم الخير، ويكون بالإشارة وهو بهذا أعم من حديث: "من سن سنة حسنة"، ويحتمل أنه مثله عاماً.))

قال أبو العبّاس القرطبيّ -رحمه اللَّه تعالى-: هذه الثلاث الخصال». [2] إنما جرى عملها بعد الموت على من نُسبت إليه؛ لأنه تسبب في ذلك، وحرص عليه، ونواه، ثم إن فوائدها متجدّدة بعده دائمة، فصار كأنه باشرها بالفعل،

وكذلك حكم كلّ ما سنّه الإنسان من الخير، فتكرّر بعده، بدليل قوله ﷺ: "من سنّ سنّةً في الإسلام حسنة، كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامه" . رواه مسلم.

1ـ رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني

2_ حديث<<إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلامن ثلاث. . . . . >>

إذا كان سعي الإنسان في نفع غيره لينال نصيبا من أجره وثوابه، فرحه بهذا عظيما كمن فطر صائماً وهو عمل منقطع، فكيف بمن سنّ سننا للنبي مهجورة وبقي أثرها إلى يوم الدين فكيف يكون فرحه.

فهذا أبو هريرة ﷺ قال : قلت : يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي إذ دخل علي رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها فقال رسول الله ﷺ: " رحمك الله يا أبا هريرة لك أجران : أجر السر وأجر العلانية " . رواه الترمذي –قوله أعجبني الحال :أي أعجبني ما كنت عليه من الخشوع في صلاتي ليقتدي الرائي بي. قال الطيبي: معناه فأعجبه رجاء أن يعمل من رآه بمثل عمله، فيكون له مثل أجره .>>

فعلى العبد أن يُظهر من عمله ما يظن ان الناس يقتدون به ويتعلمون من فعله

ذكر ابن العماد في طبقاته قال: لقي رجل يحيى بن أكثم وهو على قضاء القضاة فقال: له أصلح الله القاضي كم آكل قال: فوق الجوع ودون الشبع قال: فكم أضحك قال: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال: فكم أبكي قال: لا تمل البكاء من خشية الله قال: فكم أخفى من عملي قال: ما استطعت قال: فكم أظهر منه قال: ما يقتدى بك البر الخيِّر ويؤمن عليك قول الناس.

_الصدقة

حث النبي ﷺ يوما على هذا النوع من الصدقة فقال <<...تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ – حَتَّى قَالَ – وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا . بَلْ قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ.....>> فتتابع الناس على صدقته هو الذي جعله يفوز بثوابهم

قال الإمام النووي رحمه الله: فيه الحث على الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات.

_تحكيم شرع الله عز وجل

عندما يستشري الفساد، ويعم البلاء، وتكثر الفتن، ويحل الظلم، يكون ذلك بسبب بعدهم عن شريعة الرحمن، وتعطيلهم لحدود الله ﷻ في أرضه، فأيما حاكم أراد الله به خيراً وفقه لتطبيق شريعته وسنّ لهم الحكم، فيكون بهذا قد سن سنة حسنة لمن بعده يقتدون به في ذلك .

_بث العلم

قال الهيثمي في الزواجر<< بُشرى عظيمة لَمَن: نسخ علمًا نافعا ،وهي أنّه يكون له أجره

وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطّه والعمل به، وإنذارٌ عظيم لمن نسخ علمًا فيه إثْم وهو أنّ عليه وزره ووِزر من قرأه أو نسخه أو عمل به بعده ما بقي خطّه والعمل به .

قال ابن الملك رحمه الله<< السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به>> و السنن وأبواب الخير المهجورة كثيرة مُشرعة لمن أراد أن يخلد أثره من بعده

ونظير هذا قوله ﷺ"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا" .

(من دعا إلى هدى) من أمر الله وأمر رسوله أي ما يهتدي به ونكره ليدخل فيه كل هدى حتى آداب الطريق وإماطة الأذى عنها، . . . . .(كان له من الأجر) في دعائه (مثل أجور من تبعه) إذ الدال على الخير كفاعله (لا ينقص ذلك) الذي يعطاه من الأجر. (من أجورهم) المتبعين له (شيئًا) ولذا كان المصطفى – ﷺ– أعظم الناس أجرًا لأنه ما من هدى إلا وهو الداعي إليه والدال عليه وفيه فضل العلماء الداعين للعباد إلى الهدى.)) [1]

1_ التنوير 216/10

فهذا أبو بكر الصديق: قد أدخل في دين الله ستةً من العشرة المبشرين بالجنة أسلم على يديه عثمان، وطلحة، الزبير، وسعد، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة _رضي الله عنهم أجمعين. و أسلم على يديه، صهيب بن سنان ، و عمار بن ياسر ووالده ياسر وأمه سمية بنت خياط ، وهؤلاء من الموالي تأمل. . . . كيف يكون العطاء الرباني لصاحب الدعوة: فأبو بكر الصدّيق أسلم على يَدَيه عثمان بنُ عفان، وعثمانُ جهَّز جَيشَ العسرةِ، وفي جيش العُسرةِ من ضوعِفَت له الدرجات، وهكذا سارَتِ الدَّعوةُ من صحابيٍّ إلى آخر، فحَصَل للجميع الأجرُ العظيم، وللأوّل النصيبُ الأوفر من ذلك،

وهذا أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله يقول عن نفسه:

ولقد تاب عندي في بعض الأيام أكثر من مائة.وعمومهم صبيان قد نشأوا على اللعب والانهماك في المعاصي.))

وقال في مجلس آخر: ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس.وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل.ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام.وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي. ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رق قلبه. أو دمعت عينه.

فقلت لنفسي: كيف بك إن نجوا وهلكت: فصحت بلسان وجدي: إلهي وسيدي إن قضيت علي بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي صيانة لكرمك لا لأجلي، لئلا يقولوا عذب من دل عليه.))ص:78

ويقول أحد العلماء:لقد رأينا رجلا شلت أطرافه الأربعة وهو في المستشفى منذ أكثر من عشرين عاما ومع ذلك له همة عالية وله قلب قوي يدعو إلى الله أسلم على يديه بضع عشر رجلاً من النصارى من أطباء وممرضين وغيرهم وإذا جلست معه تحقر نفسك عنده وكأنه سليم معافى نسي أنه ابتلي في أطرافه الأربعة .

وهذا طبيب مهنته الطب فحسب ليس عالماً، ولا طالب علم بل إنسان عادي، ولكن يجري في عروقه ودمه حب الدين،أسلم على يديه عشرات من زملائه في المستشفى،فطوبى لمن جرت الأمور الصالحات على يديه.

وهذا رجل فلبيني الجنسية، كان قسيسًا ومنصرًا، ومن الله –عز وجل– عليه بالهداية! فيا ترى كيف عمل بعد أن شرح الله صدره للإسلام؟ بدأ يدعو بني جلدته حتى أسلم على يديه أربعة آلاف شخص! وذلك خلال سنوات معدودة! فيا ترى كم من شخص سوف يسلم على يد أربعة آلاف هؤلاء الآن، ويتدرج الخير إلى يوم القيامة ! فهنيئًا للفلبيني.

قال الصنعاني رحمه الله: وفيه ترغيب عظيم في دعاء العباد إلى الخير ودلالتهم عليه وترهيب بالغ في الدعاء إلى الضلال والبدع وكل خصلة تنافي أمر الله ورسول – صلى الله عليه وسلم))إه ونضير هذا أيضا قوله ﷺ ((الدال على الخير كفاعله) أي في مطلق حصول الثواب وإن اختلف القدر .

قال المناوي: بل قد يكون أجر الدال أعظم ويدخل فيه معلم العلم دخولاً أولوياً))

ولهذا فكلُّ عملٍ يقوم به مَن اهتَدَى بدعوتك لك فيه نصيبٌ وإن كنت تحتَ الثّرى،

_فهذا رسول الله ﷺ

ومن في أوامر ربه كان أمة *** فيا فوز من كان بآثاره الناس يقتدي

" فيه دليل أن رسول الله ﷺ– أكثر الخلائق أجراً لأنه الدال على كل سنة حسنة فله مثل أجور جميع أمته. >> [1] وفي الحديث "إني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا"[2]

_وزوجه خديجة رضي الله عنها<<بسبب سبقها لنساء الأمة بالإِسلام، يكون لها مثل أجر كل من أسلم.>> [3]

---

1. التنوير شرح الجامع الصغير

2. رواه مسلم

3_ التنوير

ـعمر بن الخطاب ﷺ :هو أول من جمع القرآن في الصحف،وهو أول من سنّ قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك وكتب به إلى البلدان>>كما في الطبقات الكبرى

((لكن قد دلت عامّة الروايات على أن أول من أمر بجمع القرآن من الصحابة أبو بكر رضي الله عنه بمشورة من عمر كما سبق. . . والذي عليه أكثر أهل العلم:أن أولوية أبي بكر في جمع القرآن أولية خاصة إذ كان للصحابة مصاحف كتبوا فيها القرآن أو بعضه،قبل جمع أبي بكر إلا أن تلك الجهود كانت أعمالاً فردية لم تظفر بما ظفر به مصحف الصِدّيق من دقّة البحث والتّحري،ومن الإقتصار على مالم تنسخ تلاوته،ومن بلوغها حدّ التواتر،والإجماع عليها من الصحابة،إلى غير ذلك من المزايا التي كانت لمصحف الصدّيق.))

ـزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي ﷺما: قتلا صبراً، وكانا صلّيا ركعتين ركعتين قبل أن يقتلا، فخبيب أول من سنّ ركعتين عند القتل.>>فاقتدى الناس به

1_طبقات الحفاظ والسير للذهبي

الجارودي الحافظ الإمام أبو الفضل محمد بن أحمد الهروي. حفظ الحديث متقللاً من الدنيا متعففاً وحيداً في ورعه سنياً أوّل من سن بهراة تخريج الفوائد، وشرح الرجال والتصحيح.))[1]

_يزيد بن أبي حبيب أول من سنّ العلم بمصر، روى ضمام عن أبي قبيل وموسى بن وردان والعلاء بن كثير قالوا: يزيد أول من سنّ العلم بمصر وكانوا إنما يتحدثون بالفتن والملاحم والترغيب، قال: وكان أحد الثلاثة الذين جعل بن عبد العزيز إليهم الفتيا بمصر.>>[1]

_وصحابة رسول الله ﷺ لهم في ذلك الحظ الأكثر والنصيب الأوفر بعد رسل الله وأنبيائه ((وأن كلّ خير، وفضل، وعلم، وجهاد، ومعروف فُعِل في الشريعة إلى يوم القيامة، فحظّهم منه أكمل حظّ، وثوابهم فيه أجزل ثواب؛ لأنهم سَنُّوا سُنَن الخير، وافتتحوا أبوابه، وقد قال- ﷺ-:"من سنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً، كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"، ولا شكّ في أنهم الذين سنُّوا جميع السنن، وسبقوا إلى المكارم، ولو عُدّدت مكارمهم، وفُسّرت خواصّهم، وحُصرت لملأت أسفارًا، ولكَلَّت الأعين بمطالعتها حيارى))

---

1. تاريخ الإسلام للذهبي
2. ذخيرة العقبى

والدَّال على الشَّر كفاعله، والسَّعيد من إذا مات ماتت معه سيئاته، قال الله:

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس:12]

فمن سنّ شيئًا، كُتب له، أو عليه.

وفي مقابل ذلك، هناك من سنّ الشَّر لأهله، قال أبو حامد الغزالي: " طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسأل عنها إلى آخر انقراضها "(1)

فمن الناس من تكتب له الأجور قرون، ومن الناس من تجري عليه الأوزار قرون<<فمن سن سنة سيئة كان عليه وزرها و [مثل] وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء،>> أي فإنها تتسلسل، وتلزم. قال المهلب: وأصله فى كتاب الله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي (أوزارًا مع أوزارهم) بسبب إضلالهم لهم وليحملن أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم وأوزارًا مثل أوزار من أضلوا((وما حمل

1. إحياء علوم الدين 74/2

الأوزرة؛ لأنَّه فتح باب البدعة الذي دخل منه من تبعه، فكان عليه إثم فتح الباب، وإثم كل داخل منه، وعليهم آثام دخولهم،))التحبير لإيضاح معاني التيسير

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في هذا الحديث، وحديث أبي هريرة: من دعا إلى هدى. . . ومن دعا إلى ضلالة . . . " الحديث، قال: هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة، وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك. اهـ.

فقوله رحمه الله تعالى:سواء إبتدأه أم كان مسبوقا إليه يدل عليه:

_قول النبيﷺ في كتابه لقيصر الروم "فإنْ توليتَ فإنما عليك إثم الإرِّيسِيين"[1]

_وقال في كتابه إلى كسرى:فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك _وقال في كتابه إلى المقوقس:فإن توليت فإنما عليك إثم أهل القبط .

1_ جمع أريس، وهم الأتباع والخول، يريد: إنك إذا أبيت [الحق] أبته أولئك تأسياً بك، فيكون وزرهم عليك.

وهكذا كما قال بعض السلف: لأن تكون ذنباً في الحق خير من أن تكون رأساً في الباطل.

_فإبليس: أول من سنّ الكفر فليس أحد يكفر إلا كان مثل وزره على إبليس.

وقال القرطبي في المفهم: وبهذا الاعتبار يكون على إبليس كفلٌ من معصية كلّ من عصى بالسجود (1)؛ لأنه أول من عصى به.

_قابيل : أول من سن القتل فليس يقتل أحد ظلماً من المشركين أو من المعاهدين أو من المسلمين إلا كان مثل وزره على قابيل قال صلى الله عليه وسلم((ما من نَفْسٍ تُقْتَل ظلماً؛ إلّا كان على ابْنِ آدم الْأَوَّل كِفلٌ من دمها؛ لأنّه أوّلُ من سنَّ القتلَ)).(2)جاء في ذخيرة العقبى قوله: فإذا كان هذا في العذاب والعقاب، ففي الفضل والثواب أولى، وأحرى.

كفل:_يعنى: النصيب والحظ؛ لأنه أول من سنَّ القتل، فاستن به القاتلون بعده .

فائدة:قال القرطبيّ –رحمه اللَّه تعالى–: يدخل فيه بحكم عمومه نفس الذمّيّ، والمعاهد، إذا قُتلا ظُلمًا؛ لأنّ نفسًا نكرة في سياق النفي، فهي للعموم. انتهى.

فائدة أخرى :

1_ هكذا عبارة "المفهم"، ولعل الأولى: "كلّ من عصى بعدم السجود الخ"، فليُتأمل.[ذخيرة العقبى]

2_ الترمذي وابن حبان وصححه الألباني.

وهذا محمولٌ على إذا ما لم يتب ذلك القاتل الأول من تلك المعصية؛ لأن آدم – عليه السلام– أول من خالف في أكل ما نُهي عنه،ولا يكون عليه شيء من أوزار من عصى بأكل ما نهي عنه ممن بعده بالإجماع؛ لأن آدم – عليه السلام – تاب من ذلك الذنب،وتاب اللَّه عليه،فصار كأن لم يَجْنِ، فإن التائب من الذنب، كمن لا ذنب له.))أفاده القرطبيّ.

_عاد: أول من سن الضلالة وأحدث الاحداث وخالف حكم الكتاب>>(1)

_ عمرو بن لحي أول من غير دين إبراهيم، فتبعته قريش على ذلك قال ﷺ <<عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فرأيتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قمعة ابن خِندف يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ غيَّر عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ وسيّب السَّوَائِبَ>>(2)

_نصر بن علي بن أحمد أبو طالب الكاتب، المعروف بقنبر البغدادي: لم يكن محمود السيرة، وكان سفاكاً للدماء، وأخذ الأموال وانتهاكِ الحُرَم، وكان رافضياً وهو أول من سنّ الظلم ببغداد>> وهي إلى اليوم يعاني أهلها ظلم الروافض فالويل لنصر الرافضي

وهناك كثير من البدع سنّها أقوام ظنا منهم أنها تقربهم إلى الله فاقتدوا بهم من لا علم لهم به فأثقلوا كواهلهم بالأوزار.

---

1. تاريخ الإسلام للذهبي

2 - رواه ابن حبان وصححه الألباني

_علي بن الحسين الاصابي << أول من سن الاذان لمن يسد اللحد على الميت.>>ولا نر لهذه السنة السيئة أثراً في بلادنا ولله الحمد، وإن كنا نرى غيرها

_ ملك إربل: أول من سن الاحتفال بالمولد . وغيرهم في ذلك كثير

قال تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ﴾ الحج:

قال القرطبي: ﴿له في الدنيا خزي﴾أي: هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على ألسنة المؤمنين إلى يوم القيامة.))

وعلى هذا: فأهل السنة أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق، فعندما يخطئ العالِم يُحذّر من زلته وما أحدثه في شرع الله، صيانة لدين الله، هذا أولاً.

ثانيا: تحذيراً من اتباع باطله ((. . .و تنبيه على ما به انحرف، وما بسببه غيره إليه انجرف، لعلّ في هذا التحذير والتنبيه والبيان _ بإذن العلي المنان _ تخفيفاً عما قد يلحقه. . . جرّاء ذلك_ من تبعات إلى يوم القيامة، كما في قوله ﷺ <<...ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل إلى يوم القيامة>>) .

عن أبي صالح الفراء رحمه الله قال: حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئا من أمر الفتن

فقال: ذلك يشبه أستاذه_ يعني الحسن بن حيٍّ_ قلت: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟! فقال لما يا أحمق ؟ أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم ، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتتبعهم أوزارهم ، ومن أطراهم ، كان أضر عليهم)) .(1)

ولهذا قال القاضي عياض: وهكذا التعليم فى البدع والضلالات، ويكون على معلمها الأول كفل منها . وهكذا على قياسه يكون للمعلم الأول للهدى والحقائق نصيب من الأجر .)) (2)

وقال الحافظ ابن حجر ((ووجه التحذير أن الذي يحدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمر ولا يشعر بما يترتب عليها من المفسدة وهو أن يلحقه إثم من عمل بها من بعده ولو لم يكن هو عمل بها بل لكونه كان الأصل في إحداثها .) (3)

فنسأل الله عظيم المنة***أن ينصر الحق بأهل السنة

سنن سيئة معاصرة

_ومن السنن السيئة التي انتشرت بين المسلمين، قيام بعض الناس بحرق أنفسهم وإهلاكها،

1_ سير أعلام النبلاء

2_ إكمال المعلم 5/ 478

3_ فتح الباري 20/ 379

تعبيراً منهم عن رفض الواقع المعيش الضنك

_أصحاب الصور الجارحة للحياء،فهذه روابط الأغاني والصور الفاضحة من يمسحها إن غادرت الأرواح أجسادكم ، .((فنظرة الحرام خطيئة واحدة، وخطيئة ناشر صور الحرام بعدد نظرات الأبصار لها،وقد يكون إثمه أعظم مما لو فتح بصره للحرام عمره كله،لكثرة الناظرين لها)) فاتقوا الله في كل عابر يراها،فما بالكم فيمن يحفظها ويبثها ويشارك في نشرها وإرسالها،أخشى عليكم أن تموتوا وسيئاتكم تحيا .

_نقل مدنية الغرب الفاجر، وثقافتهم، وقوانينهم، وسيئ أخلاقهم، وسنِّها للمسلمين، لتصبح بعد ذلك من المسلمات.ومن ذلك:

_سن قوانين مخالفة للشريعة في الأحوال الشخصية وفي غيرها باسم الحريات الفردية،ومما سمعناه في بعض التصريحات لأحد القادة في بعض الدول المجاورة،بعدما أعلن التخلي عن أحكام الدين والقرآن فسن لهم المساواة في الإرث بين الذكر والأنثى قائلا وبالحرف:هذا الموضوع حسمنا أمرنا فيه،يجب أن نغير أحكام مجلة الأحوال الشخصية. . .)) وقد أثار هذا جدلاً واسعاً، ثم لم يعش بعد تصريحه هذا إلا أياماً معدودات. فعفوك اللهم عنا .

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ومن سنّ شرا فاستُنّ به، كان عليه

وزره، ومثل أوزار من تبعه، غير مُنتقص من أوزارهم شيئًا)).[1]فالدال على الشر كفاعله، والسعيد من إذا مات ماتت معه سيئاته، قال تعالى:﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس:12

مسك الختام :

أمير العطاء وشيخ الإنسانية وخادم فقراء إفريقيا

وفارس العمل الخيري

رفعاً للهمّة ودفعاً للأمام للصعود إلى القمّة أختم . بنموذج من هذه الأمة ليس من القرن الأول بل هو وليد عصر هذه الأمة رجل جمع خصالاً من الإستثمار الرابح، يلقب ب:أمير العطاء، وشيخ الانسانية، خادم فقراء إفريقيا وفارس العمل الخيري: الشيخ الدكتور عبد الرحمن السميط الطبيب الكويتى والداعية الإسلامى الكبير من فاتحى افريقيا:ومؤسس جمعية العون المباشر رحمه الله رجل عظيم الهمة، بدأ حياته بجد وهمة ونشاط . رجل عاش لهم أمة .ترك مهنة الطب التي برع فيها والتي ربما يستطيع ان يجني من ورائها أموالا طائلة وترك حياة

1 _ رواه أحمد وصححه الألباني

الرفاهية وسط ابنائه وعائلته الكريمة مقابل أن يحمل أمانة الدعوة الاسلامية الثقيلة والدخول في عالم المجهول وسط غابات افريقيا وأدغالها المليئة بالمخاطر والصعوبات معرضاً نفسه للموت عدة مرات في سبيل دعوته

لم يعش من عاش في الدنيا لنفسه ** هو ميت عافه الموت فأمسى دون رَمْسه

((يظَلُّ الإنسان في هذه الحياة كقلم الرصاص، تبريه العثرات ليكتب بخط أجمل، وهكذا حتى يفنى القلم،فلا يبقى له إلا جميل ما كتب)) .

وقد عدّ من مناقب هذا الرجل أن الله سبحانه وتعالى: هدى على يديه ما يزيد عن:

_ ١٣ مليون انسان للإسلام

_ بناء حوالي ٥٧٠٠ مسجد

_حفر حوالي ٩٥٠٠ بئر ماء

– إنشاء حوالي ٨٦٠ مدرسة

_ إنشاء ٢٠٤ مراكز إسلامية

_كفالة ١٥٠٠٠ يتيم تقريبا،

لا بالإطعام فقط وانما بالتربية الاسلامية والتعليم الأكاديمي.))

فهذا والله استثمار رابح، أُستثمر لأكثر من 30 عاماً فأثمر بانجازات تعجز دول أن تقوم بها .

_إنهم جبال من معال:

[معشر إن غابت الأرض بهم ** لم يغيبوا عند مجد وفعال

كلّما إزدادت بلىً أعظمهم ** نشرتهم سُمَعٌ غيرُ بوال

لا تقل تلك قبور إنما ** هي أصدافٌ على غير لآل

كتبت هذا وأنا أتأمل في هذه الشخصيات البارزة الفذة تذكرت حينها حديث رسول الله ﷺ القائل ((مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره))[1] فكما قيل في معناه أن في: المتأخرين من يشبه المتقدمين ويقاربهم حتى يبقى لقوة المشابهة والمقارنة لا يدري الذي ينظر إليه أهذا خير أم هذا ؟ وإن كان أحدهما في نفس الأمر خيراً .

فهذا فيه بشرى للمتأخرين بأن فيهم من يقارب السابقين قال ابن تيمية :" إنّما معناه أن يكونَ في آخر الأمّة من يُقارب أوّلها حتّى يشتبه على بعض النّاس أيهما خير كما يشتبه على بعض

1_الصحيحة رقم (2286)

الناس طرفا الثوب،مع القطع بأنّ الأوّل خيرٌ من الآخر "

إذا ما درى الإنسانُ أخبارَ من مضى فتَحسبُهُ قد عاش في أوّل الدَّهر

وتَحسبُهُ قد عــاش آخِـر دهـره إلى الحشرِ إن أبقى الجميل من الذكر

فقد عاش كلَّ الدَّهر من عاش بعضه كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر

فبالوقوف على أخبار هؤلاء الأخيار تحيا القلوب، وباقتفاء آثارهم تحصل السعادة.

ذكرى وكل حياتنا ذكـرى * *وجميعنا في أرضه أســرى

جئنا إلى الدنيــا بقدرته** وبأمره نمضـــي إلى الأخـرى

فأسأل رعاك الله من ذهبوا ** هل خلدوا فيها سوى الذكرى

آثـــــارهم تحكي مآثرهم** الأجر ماض لهم والبشـــرى

وحسابهم يبقى لخالقهم ** كي يُصبح المــرهون ذا حُرا

موت التقي حياة

إن تيار الحياة محدود وفرصة العيش بها قصيرة، إذا لم يوفق العبد في كسب خصلة من تلك الخصال، وعجز عنها، فليسع في صلاح نفسه وإصلاحها، فيجعل الأعمال الصالحة شعاره، والتقوى دثاره فتلك والله هي الذخيرة الباقية

عمرك محدود فأدرك به *** بعض الأماني وانتهز واعقل

قال أبو بكر الخياط:رأيت كأني دخلت المقابر،فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم بين أيديهم الريحان، وإذا أنا بمعروف أبي محفوظ قائما فيما بينهم يذهب ويجيء، فقلت: أبا محفوظ ما صنع بك ربك؟ أوليس قد مت؟ قال: بلى، ثم أنشأ يقول:

موت التقي حياة لا نفاذ لها *** قد مات قوم وهم في الناس أحياء (1)

ففي صفحات التاريخ والسير دونت حياة العبّاد فكانت لهم بذلك حياة ثانية، فقد نقدوا أعمارهم ثمنا للأخرى، وأصبحت سيرهم في الناس نبراسا للإقتداء ومواعظ للإهتداء

أثر الصلاح في حياة العبد . . !

فهذا معروف الكرخي علم الزهاد بركة العصر أبو محفوظ البغدادي

((منسوب إلى كرخ بغداد وكان أحد المشهورين بالزهد والعزوف عن الدنيا يغشاه الصالحون ويتبرك بلقائه العارفون. . . . وذكر أبو سعيد بن الأعرابي أن أحمد بن حنبل كان يقول معروف الكرخي من الأبدال وهو مجاب الدعوة وذكر في مجلس أحمد معروف الكرخي فقال: بعض من حضره هو قصير العلم قال: أحمد أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا

1_ ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (رقم 150)

ما وصل إليه معروف)) [1]

عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق رحمه الله:الصالح الورع الزاهد العاقل

قال عنه الإمام أحمد :قلّ من يرى مثله

قالوا للإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله –: إذا لم نجدك إلى من نذهب؟ قال: لعبدالوهاب الورّاق قالوا: ليس عنده كثير علم! قال: إنه رجل صالح ومثله يُوفَّق للصواب. [2]

تأمل السر في ذلك، يقول عنه: (إنه رجل صالح ومثله يوفق للصواب

كتب الموت على النفوس فما ترى***حي يدوم مخلدا ويعمر

لكن من اتخذ الصلاح شعاره*** تفنى الخليقة وهو حي يذكر

وأخيراً: أعود فأقول كما قال أحدهم((إنّ العبد إذا كان يعلم يقيناً بأنّه مهما طال عمرُه فإنّ الموتَ مصيرُه المحتّم، والموتُ يقطعه عن صالح العمل؛ فإنّ عليه أن يعمل في حياته ما يدوم له أجرُه بعد مماته؛ وتلكم والله هي الحسنة الباقية: الصدقة الجارية؛ فإنْ كان له شيءٌ من مال وقف وقفاً مثلاً، وإنْ كان له علم صنّف كتاباً في العلم؛ فإنّ تصنيفَ العالِم ولدُه المُخلّد، أو

1_" تاريخ بغداد " 13 / 200، و" طبقات الحنابلة " 1 / 382. سير أعلام النبلاء 340/9

2_ شرح الكوكب المنير (574/4)

انبرى للتّعليم والتّدريس؛ فخلّف من أبناء فِكرِه من قد يكون أنفعَ له من أبناءِ صُلبِه، وإنْ لم يكن له مالٌ، ولا علمٌ: احتسب الأجر في الزّواج، وسعى في تحصيل ذرِّية طيّبة تذكر الله بعده؛ فيكون له أجرُها، أو لزم العبادة والطّاعة؛ حتّى يكون رأساً فيها؛ فيُنقل من فعلِه، وجميلِ هديه وسمتِه ما يقتدي غيرُه به؛ فإنّ آثارَ هذه الأعمال تمتدُّ إلى ما بعد زمانِه، ويبقى عملُه موصولاً حتّى بعد وفاته؛ يؤدّي رسالتَه للأحياء، وصاحبُه رَميمٌ في قبرِه، وقد أشار القرآنُ إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:12]

ويقول جل وعلا على لسان إبراهيم عليه السلام :- ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾

يقول الطبري رحمه الله في تفسيرها :"واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً، وثناءً حسناً، باقياً فيمن يجيء من القرون بعدي".

ولسان صدق: يسبقه ﴿قدم صدق﴾ و ﴿مدخل صدق﴾ و﴿مخرج صدق﴾ ويعقبه ﴿مقعد صدق﴾

((فإذا كان العبد قد قدم لنفسه أمراً عظيما تكون نجاته يوم يلقى الله عز وجل وهو ﴿قدم صدق﴾ كما في قوله تعالى ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ وأحسن ما قيل في معنى ﴿قدم صدق﴾ أي أعمال صالحة وفقهم الله عز وجل لتقديمها في هذه الحياة

﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾لأن وجوده في هذه الحياة الدنيا فرصة لأن يقدم من الخير ما يجده عند الله يوم القيامة وهذا الصدق يثمر في الدنيا لسان صدق في الناس،وذكرا حسنا ،وثناءا عطراً،ومعرفة بمآثر الشخص وفضائله،فكم من أناس توفاهم الله عز وجل من قرون طوال،ولا يزال مع كرِّ الأيام ومرّ الأيام لا ينقطع الناس من ذكرهم، والثناء عليهم، والإفادة منهم، وذكرهم بالجميل، وللصحابة الكرام رضي الله عنهم الحظ الأوفر والنصيب الأكبر،من ذلك، وهذا من عاجل البشرى في هذه الحياة الدنيا ،وأما في الآخرة، فلهؤلاء مقعد الصدق عند الله ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾)) [الصدق مع الله ص:36.35]

وقد ذكر مؤلفها هذا المعنى الجميل بعد أن ثنى بمدخل صدق ومخرج صدق بكلام متين ثم قال:فارتبطت هذه الخمس(*) التي أضيفت إلى الصدق بعضها ببعض وكل منها يفضي إلى الآخر ويؤدي إليه . . . .))

خذ لك زادين من سيرةٍ *** ومن عملٍ صالحٍ يُدّخر

وكن في الطريق عفيف الخُطا *** شريف السماع كريم النظر

وكن رجلاً إن أتوا بعده *** يقولون مرّ وهذا الأثر.

*_يعني: لسان صدق ،وقدم صدق، ومدخل صدق، ومخرج صدق، ومقعد صدق_

﴿ والله تعالى أعلم ﴾

والحمد لله أولا وآخرا

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كتبه: أبو معاذ بشير بن عدّة الجزائري

إمام مدرس بمسجد السلام حي الرائد المجدوب سعيدة

moussaouibachir050@gmail.com